9me Année No. 423

Lundi - 11 - 8 - 1941

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٤٢٣ « القاهرة فى يوم الإثنين ١٨ رجب سنة ١٣٦٠ — الموافق ١١ أغسس سنة ١٩٤١ » السنة التاسعة

الفهـــــرس

صفحة

٩٩٧ الرحمة قوة ... ... : الأستاذ عباس محمود العقاد
١٠٠٠ كيف يكتب التاريخ ؟ ... : الدكتور حسن عثمان ...
١٠٠٣ دار الوجد والمجد [قصيدة] : الدكتور زكي مبارك ... ...
١٠٠٧ ابن شهاب العلوى ... : الأستاذ على عبود العلوى ...
١٠١١ ما ألف عن النساء ... : الأستاذ صلاح الدين المنجد
١٠١٢ زخرفة المساجد ... ... : الأستاذ الشيخ سيد رجب
١٠١٥ محنة التعليم الالزامى ... : الأستاذ على عبد الله ...
١٠١٧ الغار المقدسة ... ... : الأستاذ عبد الحميد يونس ...
١٠١٨ الشيخ عباس ... ... : الدكتور عبد الوهاب عزام
١٠١٩ حول اللهجات العامية ... : الدكتور على عبد الواحد وافى
١٠١٩ هل نستفيد مما نقرأ ؟ ... : الأستاذ محمد محمود رضوان
١٠٢٠ فتوى واستفتاء ... ... : الأستاذ طه محمد الساكت ...
١٠٢٠ حول استدراك فى غزوة حنين ... ... : الأستاذ عبد المتعال الصعيدي
١٠٢١ القصر العينى ... ... : الأديب أحمد الشرباصى ...
١٠٢٢ مفترق الطرق [قصة] : الأستاذ نجيب محفوظ ...

الرحمـــة قوة

للأستاذ عباس محمود العقاد

« ... وبعد فإننى أحد دارسيك ، ومن طليعة المعجبين بغزارة علمك وقوة أدبك وسموه ، ووفرة إنتاجك وتنوعه ، لهذا لا أحسبنى متطفلاً إذا ما سألتك سؤالاً فى موضوع طالما فكرت فيه ، وهو : أصحيح ما يقال إن الرحمة من أخلاق الضعفاء ، وإنها أبعد الصفات عن الأقوياء ، وإن الإنسان كلما ازداد قوة ازداد قسوة ؟ ... فهل تتفضل يا سيدى بالإجابة على سؤالى هذا على صفحات مجلة الرسالة الغراء لأننى من المدمنين قراءتها ؟ ولك منى جزيل الشكر سلفاً ... »

بغداد — شارع الرشيد — عبد الكريم جواد المحامي

* * *

وجوابى على سؤال الأستاذ الفاضل أن الرحمة قوة وليست بضعف ، لأن الرحيم يعطى من فيض نفسه من يحتاجون إلى رحمة ، ولا تملك النفس فيضاً تعطيه إلا وهى ممتلئة تستغنى عن جزء من ذخيرتها لإسعاف غيرها . وليس هذا من شيمة الضعفاء والرحمة كلاءة ورعاية ، ومن يكلأ غيره ويرعاه فليس هو بالضعيف

وينبغي أن نرجع إلى الطبيعة ، لنعلم ما هو طبيعي

ينبغي أن نرجع إلى الطبيعة لنعلم الخلق الأصيل والخلق الذي هو عادة طارئة أو نقص كبير

والطبيعة تقول لنا إن الرحمة ركن من أركانها في أداء غرض من أهم أغراضها ، بل هو أهم أغراضها على الإطلاق ، وهو حفظ النوع وتجديده ، وتمهد الأبناء الصغار إلى يوم استغنائهم عن معونة الأولياء الكبار

فكل والد رحيم بغير اختياره : رحيم باختيار الخالق الذي خلقه وسخره لحفظ نوعه

وكيف يقال إن الطبيعة تعتمد على الضعف في طلب البقاء ؟ أو تعتمد على الضعف في غريزة أصيلة يوشك أن يتلاقى فيها الإنسان وسائر الأحياء ، ممن صعد ولو قليلاً على سلم الارتقاء ؟

لو قلنا إن القسوة عجز وليست بقوة لما أخطأنا الدليل على ذلك من طبائع الأحياء التي عهدت فيها الضراوة وخلت طبائعها من الرحمة وما يماثلها

فإن الوحوش المشهورة بالقسوة لا تعرف وسيلة غير البطش والضراوة لتحصيل العيش ومكافحة الأعداء ، وكل بطش فهو إلى القوة الآلية أقرب منه إلى الخصال النفسية والملكات العقلية . فالفرق يسير بين صدمة الحجر وضربة الوحش من هياجه ، فهي — أي القسوة — أدنى الوسائل التي لا وسيلة دونها ، ثم تترقى وسائل الأحياء درجة بعد درجة حتى يكون استغناؤها عن القسوة بمقدار ارتقائها في تلك الدرجات

ومن ثم يصح أن يقال إن القسوة عجز وفقدان وسيلة ، وإنها من البدائيات التي يوشك أن تلحق بالآلة والجماد

فالإنسان يقسو لأنه عاجز عن الرحمة ، ولا يناقض قولنا هذا قول المتنبي :

والظلم من شيم النفوس فإن تجد ذا عفة فلعلة لا يظلم

فإن بيت المتنبي معناه أن الظلم أيسر الوسائل وأقربها : أيسرها لمن لا يتيسر له ما هو أصعب منها . وهذا هو بعينه ما نذهب إليه حين نقول إن القادر على الصعب لا يهبط إلى ما دونه ، وإن القادر على الرحمة مستغن عن القتيل والتخويف

إن الماء لا يحتاج إلى تدبير وإتقان لينحدر من الأعلى إلى الأسفل

ذلك هو أيسر الطرق أمامه وأقربها إليه ؛ ولكنه محتاج إلى التدبير والإتقان ليصعد من الأسفل إلى الأعلى

فالظلم كانحدار الماء قريب ؛ والرحمة كارتفاع الماء صعب ولكنه أدل على الاقتدار

* * *

ومن آيات الطبيعة التي نستفيدها منها في هذا المعنى أن الرحمة تزداد في الأحياء كلما ازداد الشبه بينها وبين الإنسان — في الغريزة الاجتماعية

فالرحمة معروفة بين الحيوانات الاجتماعية في العلاقة بين والدها ومولودها ، وفي العلاقات بين الفرد منها وسائر أفرادها ، وفي العلامات بينها وبين الآدميين

ومؤدى هذا أن الرحمة وغريزة الاجتماع متلازمتان ، فكيف تكون مرضاً وهي أصل من أصول الأخلاق الاجتماعية ؟ وكيف يتركب في البنية ما هو مرض أو انحراف مناقض لأساس التكوين ؟

على أننا خلقاء أن نميز بين الرحمة وبين الاضطراب الجسدي الذي يعجز صاحبه عن احتمال المؤلمات والمشقات ، فيخور ويبكي حين يرى ما يؤلم أو يتعرض لما يشق عليه . وليس من الضروري مع هذا أن يرحم المتألم أو يعينه أو ينفعه بعطفه ، وإنما هو عجز عن احتمال الآلام المشهودة كالعجز عن احتمال الهواء والاضطلاع بالتاعب ، وبين الرحمة وهذا النقص بون بعيد

إن المرأة الهستيرية التي يغشى عليها حين ترى جريحاً يتألم ، ليست بأرحم لذلك الجريح من الطبيب الذي يفتح جراحه ويزيده ألماً على ألمه

فالذين يزعمون أن الرحمة ضعف أو مرض ، إنما يلتبس عليهم الأمر بين هذه الحالة الهستيرية التي هي ضعف ، وبين الرحمة التي هي قوة ، لأنها حماية لضعف الآخرين

وإن الرجل الذي يبطش بالضعفاء لأقوى من الضعفاء ؛ ولكن أقوى منه وأرجل منه وأرفع منه ذلك الرجل الذي يغلب الأقوياء لينقذ الضعفاء من أيديهم ، ويريهم قوة أكبر من قوتهم ، لأنها لا تكتفي بالقسوة على الضعيف ، ولا تحجم عن زجر القوي ، وزجره أحوج إلى القوة وأدل على الاستغناء

وإنما رجل الدنيا وواحدها من لا يعول في الدنيا على رجل

نعم ، وأرجل منه من يعول كل الرجال عليه ، ومن يبسط جناحيه على كل من حواليه

* * *

وآية أخرى من آيات الطبيعة فى هذا المعنى أنك لا تجد مزدرياً بالرحمة إلا وهو محتاج إلى رحمة الرحماء

« فردريك نيتشه » : رسول القسوة وأكبر الناعين على الرحمة فى العصور الحديثة ، قد عاش سنوات ولا سند له فى الحياة غير رحمة امرأة عجوز ، وهى أمه !

وروى عن الوزير ابن الزيات أنه كان يقول : إن الرحمة خور فى الطبيعة . فلما نكب وعذب بالتنور الذى كان يعذب به الناس إذا به يرثى لنفسه ويستدعى الرثاء لها ويجرى فى ضعفه أمثولة لمن يسترحمون الأقوياء والضعفاء ، و « لم يزل - كما جاء فى الطبرى - أياماً فى حبسه مطلقاً ، ثم أمر بتقييده فقيد وامتنع عن الطعام ، وكان لا يذوق شيئاً . وكان شديد الجزع فى حبسه كثير البكاء قليل الكلام كثير التفكر ... وكان قبل موته بيومين أو ثلاثة يقول لنفسه : يا محمد يا ابن عبد الملك ! لم تقنعك النعمة والثواب الغُرّة ، والدار النظيفة ، والكسوة الفاخرة ، وأنت فى عافية ، حتى طلبت الوزارة ! ذق ما عملت بنفسك ... »

ومن شوهد عليهم من القساة أنهم كانوا أصلب من ذلك عوداً وأخشن مساً وأقرب إلى التمرد والعتو والأنفة من الشكوى فكثيراً ما يكون تمردهم ضرباً من التخبط ، أو عرضاً من أعراض التشنج ، أو ثورة عصبية هى مرض لا شك فيه كمرض الخنوع والولع بالشكاية وإن اختلف مظهرها كاختلاف النقيضين

فالذى تراه من المشاهدات الطبيعية أن القسوة هى العجز والمرض والنقصان ، وأن الرحمة هى القدرة والفضل والزيادة

فالرحيم عنده ما يكفيه ويزيد على كفايته حتى يكفى غيره ويتناوله بالعناية والحماية !

والقاسى عنده من القوة ما يغلب به الضعيف ، فهو فى الدرجة التالية من الضعف ليس دونه فى مراتب القوة إلا فاقد القوة والعاجز عن كبحها

وهذا بلا ريب غير قسوة الرحمة التى يقول فيها حكيم الشعر العربى :

وقسا ليزدجروا ومن يك حازماً فليقس أحياناً على من يرحم

فالرحيم الذى يقسو هنا لينفع بقسوته من لا تنفعهم رحمته ، إنما هو أرحم وأقدر على الرحمة ، لأن رحمته لا تغلبه ولا تقوده غير واع ولا متدبر حتى يصنع باسم الرحمة ما هو نقيضها أو ما هو قسوة معيبة فيما تنتهى إليه من الإيذاء

وكفى بالرحمة أنها فتح إنسانى فى عالم الحياة ، ترقى إليها الإنسان وحده بين المخلوقات الحية ، وشابهته فيها بمقدار ما صعدت بهم الطبيعة فى مرتقاه .

عباس محمود العقاد

مجموعات الرسالة

تباع مجموعات الرسالة مجلدة بالأثمان الآتية : السنة الأولى فى مجلد واحد ٥٠ قرشا ، و٧٠ قرشا عن كل سنة من السنوات : الثانية والثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة والثامنة فى مجلدين . وذلك عدا أجرة البريد وقدرها خمسة قروش فى الداخل وعشرة قروش فى السودان وعشرون قرشا فى الخارج عن كل مجلد .

إلى ضحايا المغناطيسية والى المصابين بالاضطرابات العصبية

ترسل تعليمات مجانية عن شرح طرق وتدريبات تعلمك كيف تتخلص من الخوف والوهم والخجل والكآبة والوسواس ومن جميع الاضطرابات العصبية والعادات الضارة كشرب الدخان ومن العلل والآلام الجسدية وفى تقوية الذاكرة والإرادة ودراسة الفنون المغناطيسية لمن أراد احتراف التنويم المغناطيسى والحصول على دبلوم فى هذا الفن اكتب إلى الأستاذ ألفريد توما ٧١٩ شارع الخليج المصرى بغمرة بمصر وارفق بطلبك ١٥ مليما طوابع للمصاريف فتصلك التعليمات مجاناً .

كيف يكتب التاريخ؟(*)

للدكتور حسن عثمان

مدرس التاريخ الحديث بكلية الآداب

— ١ —

مقدمة

الشرق القريب — ومصر على وجه الخصوص — حديث العهد جداً بدراسة موضوع طريقة البحث التاريخي وكتابة التاريخ بالمعنى العلمي الحديث ؛ وكلية الآداب بالقاهرة تكاد تبدأ هذا النوع من الدرس الذي أرجو أن يتسع ويطبق عملياً في المستقبل القريب . وفي صيف ١٩٣٩ أصدر صديق الدكتور أسد رستم كتاب « مصطلح التاريخ » نتيجة خبرته في تدريس طريقة البحث التاريخي سنوات عديدة في جامعة بيروت الأمريكية . وابتداء من نوفمبر ١٩٤٠ ، أخذ الدكتور محمد مصطفى زيادة الأستاذ المساعد لتاريخ العصور الوسطى بكلية الآداب بالقاهرة ينشر سلسلة من المقالات بمجلة « الثقافة » عن صناعة التاريخ في مصر ، فرأيت أن أساهم أيضاً — بعد أن فتحت لي « الرسالة » صدرها الرحيب — بنشر بعض مقالات عن هذا الموضوع ، لاحتمال تقديمه بعض النفع للراغبين في دراسة وكتابة التاريخ . ولإعطاء القارئ فكرة عن طريقة كتابة المؤلفات التاريخية التي يتداولها ؛ والتاريخ لا يدرس عفواً ، ولا يكتب اعتباطاً ؛ وإنما يدرس لأغراض وفوائد ، ولا بد لكتابته من استعداد خاص ودراية وخبرة بطريقة البحث التاريخي

ولماذا نحاول الوصول إلى الحقيقة التاريخية ؟ وما الذي نستفيده من دراسة التاريخ ؟ لكي نصل إلى نتيجة معقولة ، فلنبحث أولاً فيما هو التاريخ ؛ فكلمة تاريخ مستمدة من اليونانية بمعنى بحث واستقصاء حوادث الماضي ، أي تسجيل حوادث الإنسان منذ ظهر في الوجود ، ومنذ بدأ يترك آثاره ومخلفاته على الصخر وعلى الأرض ، حتى الوقت الحاضر . ونحن إذا تصفحنا أي كتاب عام عن تاريخ العالم ، نجد أنه يتناول أوجه النشاط الإنساني المتنوعة في الزمن الماضي ، فيشرح حوادث الحروب ومشاكل السياسة ومسائل الدين والفن والاقتصاد ... وهو يحاول بذلك أن يعطي صورة للمجتمع الإنساني في حالة حركة مستمرة ؛ وهي حركة لا تتكرر ولا تعيد نفسها على نفس المنوال وفي نفس الظروف التي حدثت بها في فترة سابقة . نعم إنه قد تقع حوادث متشابهة ، ولكن تشابهها لا يمكن أن يكون مطلقاً ؛ والإنسان يجب أن يعرف تاريخه ككائن اجتماعي ، فينبغي أن يعرف تاريخ تطوره وتاريخ آثاره في الزمن الماضي . وينبغي أن يدرس العوامل التي أدت إلى حدوث الثورات والحروب ، وما لابس ذلك ، وما خلفته من آثار ؛ وأن يتبع مثلاً حركة الكشف الجغرافي في أواخر القرن الخامس عشر ، وما ترتب عليها من تغيير طريق التجارة العالمي ، وما ارتبط بذلك من هبوط سلطانية المماليك وجمهورية البندقية ، وارتفاع شأن دول غرب أوربا كالبرتغال وهولندا وانجلترا ؛ وأن يدرس الأسباب التي أوجدت

(*) المقصود بهذه المقالة وما يليها عرض موجز لدراسة طريقة البحث التاريخي ، بدون التعرض لفلسفة التاريخ ولتطور كتابته في الشرق والغرب ؛ وقد أعود إلى ذلك في المستقبل . وإني أقدم بعض المراجع لمن يرغب المزيد فيما نحن بصدده الآن :

١ — أسد رستم : مصطلح التاريخ ، بيروت ، ١٩٣٩
٢ — ابن خلدون : المقدمة ، القاهرة ، ١٩٣٠
٣ — السخاوي : الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ، دمشق ، ١٣٤٩هـ
٤ — هرنشو ، ترجمة وتعليق الأستاذ عبد الحميد العبادي : علم التاريخ ، القاهرة ، ١٩٣٧
٥ — الدكتور مصطفى زيادة : صناعة التاريخ في مصر ، مجلة الثقافة ، أعداد ٩٢ ، ١٠٠ ، ١٠٥ ، ١١١
٦ — Fling, F. M. : The Writing of History, An Introduction to Historical method. Yale, U. S. A., 1926
٧ — Oman, Sir Ch. : On The Writing of History, London, 1939
٨ — Freeman, E. A. : The Methods of Historical Study. London, 1886
٩ — Acton, Lord J. E. : Lectures on Modern History. London, 1930. (pp. 1-28 ; On the Study of History)
١٠ — Emerson, R. W. : Essays. Oxford, 1927
١١ — Langlois, Ch. V. & Seignobos, Ch. : Introduction aux Etudes Historiques. Paris, 1898 — English Trans. by G. B. Berry. London 1912
١٢ — Fenter, E. : Histoire de l'Historiographie Moderne. Paris, 1914
١٣ — Croce, B. : Teoria e Storia della Storiografia. Bari, 1920. English Trans. by D. Ainslie. London, 1921
١٤ — Croce, B. : Primi Saggi. Bari, 1927. (pp. 1-72 : La Storia ridotta sotto il concetto generale dell'arte, e Illustrazioni e Discussioni)
١٥ — Croce, B. : Conversazioni Critiche, 4 vol. Bari, 1924-1932. (V. 1. pp. 153-224 : Teoria della Storia, e Storia della Cultura) — (V. 4. pp. 115-163 : Metodologia Storica)
١٦ — Pecchiai, P. : Manuale Pratico per gli Archivisti. Milano, 1928.

نوعاً جديداً من الأدب أو الفن وما إلى ذلك من أوجه النشاط الإنساني ومقومات الحضارة

وحوادث التاريخ هي من صنع الإنسان في ظروف معينة ؛ فينبغي أن يقرأ الإنسان وأن يدرس هذا التاريخ ؛ فالعلاقة وطيدة بين حياة الإنسان وبين القرون والعصر الماضية. ولا يمكن للانسان أن يفهم نفسه وأن يفهم الحاضر بدون الماضي ؛ ومعرفة الماضي تكسبه خبرة السنين الطويلة ؛ والتأمل في الماضي يبعد الإنسان عن شخصه ، فيرى ما لا يراه في نفسه بسهولة من مزايا وأخطاء الغير ؛ ويجعله ذلك أقدر على فهم نفسه وأقدر على حسن التصرف في الحاضر وفي المستقبل . ولكي ندرك أهمية معرفة الماضي ووجوب دراسة التاريخ ، فلنفرض أننا استطعنا بوسيلة ما أن نقطع صلتنا بالماضي نهائياً ، وأن نحرق دور الكتب وأن ندمر كل آثار العمران الزاهنة ، وأن ننسى أنفسنا ؛ فماذا تكون عليه حال الإنسان وحال الحضارة ؟ لا بد للانسان في هذه الحالة من أن يعود ليبدأ من جديد ما كان قد بدأه منذ آلاف السنين من أوجه النشاط المختلفة لكي يصل إلى النقطة التي قطع فيها صلته بماضيه التاريخي ، أو إلى ما يقاربها . فماضي الشعوب وماضي الإنسان حافل بشتى الصور ، وهو عزيز عليه في كل أدواره ، سواء عهود المجد والقوة ، أو فترات المحن والكوارث؛ والأقوام الذين لا ماضي لهم ليسوا من شعوب الأرض المتحضرة. ومتى اقتنعنا بوجوب معرفة التاريخ والاستفادة منه ، فينبغي إذاً أن يكتب هذا التاريخ ، ويجب أن يتخصص لكتابته بعض الناس من أصحاب الاستعداد

وليس كل من يحاول أن يكتب التاريخ يصبح مؤرخاً . فالمؤرخ ينبغي أن تتحقق فيه الصفات اللازمة لكل من يشتغل بالعلم . ومن بين هذه الصفات أن يكون محباً للعمل حباً صبوراً فلا تثنيه وعورة البحث ولا المصاعب والعقبات مهما كان نوعها عن مواصلة البحث ، ولا توقفه ندرة المصادر ، ولا يصرفه عن عمله غموض الحقائق التاريخية واختلاطها ، فيقضي الشهور والسنوات وهو يعمل ويرتحل من بلد إلى آخر بحثاً عن الحقيقة. ويلزم المؤرخ أن تكون له ملكة النقد ، فلا يقبل أي كلام ، ولا يصدق أية وثيقة إلا بعد الدرس والاستقراء ، فيأخذ الصدق والحق ويطرح ما دون ذلك . والمؤرخ لا بد أن يكون مخلصاً أميناً شجاعاً ، فلا يكذب ولا يتحيل ولا يتملق ، ولا يخفي الحقائق التي قد لا يعرفها غيره في بعض الأحيان ، والتي قد لا ترضيه أو لا ترضي قومه ؛ فإنه لا رقيب عليه غير ضميره . والمؤرخ ينبغي أن يكون بعيداً عن حب الشهرة ، وألا يحفل بالكسب وبالألقاب وبالجاه ؛ فإن الحقيقة التاريخية التي قد يكشف عنها تعدل كل ذلك أو تزيد . والمؤرخ ينبغي أن يكون قوي الشخصية ، فيستطيع أن يكون آراءه بناء على الواقع التاريخي ، ويعرضها علينا ، فنلمس شخصيته خلال السطور . والمؤرخ ينبغي أن يكون صاحب إحساس وعاطفة وتسامح وخيال؛ فيدرك آراء الغير ونوازع الآخرين ، ويحس ما جاش بصدور الناس من شتى العواطف ، ويفهم الدوافع التي حركتهم في اتخاذ سلوك معين في الزمن الماضي ، ويشارك رجال الأمس مواقفهم في ساعات التاريخ الفاصلة ، في فترات الانقلاب ، وفي عهود المقاومة العنيفة ، وفي ظروف النجاح والفشل ؛ لأن المؤرخ المجيد يجد في كل هذه الحوادث صدى نفسه ، فتتجلى فيه روح العلم والفن ، ويبعث التاريخ حياً ، ويحيا في التاريخ ، ويعيش للتاريخ

وإذاً فما هو الطريق الذي نتبعه لكتابة التاريخ ؟ وما هي طريقة البحث التاريخي ؟ طريقة البحث التاريخي عبارة عن العملية والمراحل التي يصل خلالها الباحث إلى الحقيقة التاريخية ، بجمع الأصول والمصادر ، ودراستها ونقدها ، واستخلاص الحقائق وتنظيمها وعرضها عرضاً تاريخياً معقولاً . إنما نلاحظ بأنه ليس المقصود بالحقيقة التاريخية إمكان الوصول إلى معلومات صحيحة على الإطلاق ؛ فالحقيقة المطلقة غير مستطاع الوصول إليها فيما يتعلق بالوقت الحاضر فضلاً عن الماضي ، لظروف مختلفة كالأغراض والمصالح ، أو لضياع الأدلة وانطماس الآثار . فالحقيقة التي يصل إليها الباحث في التاريخ صحيحة نسبياً ، وكلما زادت نسبة الصدق وكبر عنصر الحقيقة أصبح التاريخ تاريخاً بالمعنى الصحيح

وإن من يدرس العلوم الطبيعية يستطيع أن يشاهد بنفسه التغيرات والتحولات التي تصيب المادة في معمل التجارب . إنما دارس التاريخ لا يستطيع أن يضع الحوادث أمامه في بوتقة التجارب ؛ ولا بد له من وسائل أخرى تؤدي به إلى الغرض . فينبغي أن تتوفر لديه الأصول والمصادر التي يستخرج منها

الحقائق التاريخية . وهذه المصادر عبارة عن آثار ومخلفات الإنسان ، وهي على أنواع مختلفة ؛ فمن ذلك بقايا جسم الإنسان نفسه ، وملابسه وطعامه ومساكنه وأسلحته وأدواته التي كان يستخدمها أثناء حياته ، ونقوشه على الأحجار وكتبه المخطوطة والمطبوعة ، وصوره ورسومه وتماثيله ومبانيه ، ولغته وآدابه وقوانينه وعاداته وتقاليده . وآثار الإنسان كلها تحمل بين طياتها أسرار الحوادث وخفايا التاريخ ؛ وهي تظل أبداً صامتة لا تبوح بأسرارها ، إلى أن يتمكن الإنسان بالدراسة الطويلة ، وبالتأمل العميق من أن يحملها على النطق ، وعلى التعبير عن أسرارها وخفاياها . وينبغي ألا يفوتنا أن بعض آثار الإنسان تشيد للمبالغة وللتعظيم ، مثل أقواس النصر التي أقامها نابليون في بعض الولايات الألمانية ، والتي لا تدل على أنه قد أصبح سيد أوربا على الدوام ، أو المدالية التي ضربها تذكاراً لنزوله في انجلترا ، مع أن ذلك لم يحدث تاريخياً ؛ فهذه المدالية ستبقى كذكرى لأمل لم يتحقق . أو تمثال الرجل الذي يقتل الأسد ، مع أن ذلك لم يحدث إلا نادراً ، والعكس هو الشائع . ولو استطاع الأسد أن يصنع تمثالاً لفتكه بالإنسان لصح الوضع . وأحياناً قد يعثر الباحث في التاريخ على وثائق مزيفة ومنتحلة ، سواء بقصد الدعاية أو الدفاع عن فكرة معينة أو من أجل الشهرة أو للاتجار والكسب . وعلى ذلك ينبغي أن تدرس آثار الإنسان بروح النقد والحذر

وتتحدد قيمة التاريخ المكتوب بناء على بعض الأسس العامة . فأولاً نوع المادة التي استقى منها الباحث معلوماته ، هل هي أصول original sources أو هل هي نقوش قديمة معاصرة وثبت صحة معلوماتها ، أو هل هي وثائق ومراسلات سياسية مستخرجة من دور الأرشيف وثبت أنها غير مزيفة وأن معلوماتها صحيحة ، أم أن المادة التي جمعها الباحث مستمدة من مجرد مراجع ثانوية ليست لها قيمة كبيرة . وثانياً قدرة الباحث على نقد ما تحت يده من الأصول والمصادر . ويختلف الباحثون في النقد وفي استخلاص الحقائق على حسب اختلافهم في الفهم والتفسير والاستنباط . وأحياناً يضع الباحثون في التاريخ افتراضات مختلفة لمحاولة فهم حركة تاريخية مهمة مثل حركة النهضة في إيطاليا أو الثورة الفرنسية . وأحياناً يختلف الباحثون في تقدير معنى الحوادث من ناحية السياسة أو الخلق . وأحياناً يكتبون متأثرين بروح العصر السائدة مثل حركة الانقلاب الصناعي أو نمو الديموقراطية في أوربا ؛ إنما كل هذه الاختلافات ضرورية لأنها تقدم آراء ووجهات نظر مختلفة عن عصر معين ؛ وهي تعطي للتاريخ الحركة والحياة ، وتجعل البحث التاريخي مستمراً بنشاط . وعلى العكس ، عدم الاختلاف بسبب الجمود والركود . وثالثاً مطابقة التاريخ للواقع ، وبعده عن التحيز والأهواء والنوازع المختلفة ؛ فلا تعتبر تاريخاً صحيحاً الكتابة التي يطعن فيها مسيحي على المسلمين في زمن الحروب الصليبية ؛ أو العكس ، فالكتابة التي تخدم غرضاً معيناً قد تعتبر تاريخاً لنوع من التفكير أو النوازع الإنسانية ، وإنما لا يمكن أن يعتبر ما جاء بها معبراً عن الحقيقة التاريخية بالنسبة لما تناولته من الموضوعات

وبمعنى آخر يمكننا أن نقول إن قيمة التاريخ المكتوب تتحدد بناء على ملكات الباحث في التاريخ واستعداده ، وبناء على مدى ثقافته ، وعلى درجة إلمامه بطريقة البحث التاريخي . وكثير من كتب التاريخ تعتبر من أمتع ثمرات العقول ، لنضوج عقلية المؤرخ ، وخبرته الوطيدة ، ونجاحه في إعطاء وحدة جامعة واضحة ، بعكس الكثير من كتب التاريخ أيضاً التي يكتبها من لا يفهم التاريخ ، ومن لا يملك ملكة النقد ؛ فلا تزيد عن مجرد معلومات موضوعة بين دفتي كتاب . ومثل هذه الكتب غير جديرة بأسمائها ، وهي قد لا تساوي الورق الذي طبعت عليه .

(يتلى)

حسن عثمان

الكف وأسرار النفس

للأستاذ أحمد السنوسي

إخصائي الحالات النفسية

مؤلف يبحث على ضوء العلم الحديث فيما هي فوائد علم الكف . الكف والمؤثرات النفسية . كيف تكشف خطوط الكف عن استعدادات المرء التي تمكنه من النجاح في الحياة

قيمة الاشتراك قبل الطبع ٣٠ قرشاً وثمنه بعد الطبع ٥٠ قرشاً وقد مد أجل الاشتراك إلى ١٥ سبتمبر المقبل كرغبة الكثيرين ، وترسل الاشتراكات إلى مكتبة الأنجلو ٣٣ ش قصر النيل ، أو لمجلة الرسالة ٨١ ش السلطان حسين ، أو للمؤلف ٣٣ ش الملكة فريدة .

بمناسبة الغارات الجوية على الاسكندرية :

دار الوجد والمجد

للدكتور زكي مبارك

[لو عاش « شوقي » إلى أن شهد ما تعاني الاسكندرية من كوارث وخطوب لواساها بأطايب الشعر البليغ . فإلى روحه في دار الخلود أهدي هذا القصيد]

زكي مبارك

بأهلِ اسكندريةَ بعضُ ما بي ... من الأحزانِ للثغر المصاب
أدارَ هَوايَ ما قلبي بناسٍ ... هُيامي فوق أمواجِ العُباب
وهل يَنسى أخو كرمٍ وعهد ... رحيقَ الراحِ يُمزجُ بالرُّضاب ؟
فإن تكن الكوارثُ آثماتٍ ... صببْن عليك أسواطَ العذاب
فلن ينسى لك التاريخُ عهداً ... ضحوكَ الوجه مرهوبَ الجناب

* * *

سَحَابكِ اللهُ يا دارَ التنادي ... إلى الهيجاء أو دارَ التصابي
ألم تمرح بساحتك الجوازي ... لواعبَ في حمى الأُسْد الغِضاب(١)
ألم تُلقَ مع الأقدار يوماً ... كتائبَ من لحاظٍ أو حراب ؟
وكيف يطيبُ للدنيا وُجودٌ ... إذا هُدِّدتِ ظلماً بالخراب ؟
وأين تجولُ أفراسُ المعالي ؟ ... وأين تصول أحلامُ الشباب ؟

* * *

عروسَ البحر، والدنيا سفينٌ ... تروِّعُ بالقواصف والضباب(٢)
أعندكِ أن دارَ المجدِ تنجو ... على الأيام من كَرَبِ الصِّعاب؟
أعندكِ أن في الدنيا رياضاً ... تصان من الأفاعي والذباب ؟

* * *

عروسَ البحر، ما هذي الرزايا ... تصب على بنيكِ بلا حساب ؟
أكنت جنيت ، والدنيا مجالٌ ... لفروض الثواب أو العقاب ؟
جمالكِ فاتنٌ ، والحسن ذنبٌ ... لأهل الحسن في شرع الدئاب
فما شكواكِ من ظلماء طالت ... وتلك جناية المجدِ اللباب ؟

* * *

عروسَ البحر، يا مهوى فتوني ... ويا مَثْنى أماني المِعذاب
عُقلتُ بأرضك العزّاء عاماً ... فكان أعزّ عام في شبابي(١)
دخلتُك عانياً في أسر ليل ... أصمّ القلب زنجيّ الإهاب
فأقبلَ نورك الروحيّ يسري ... إلى أرواحنا من كلّ باب
رأى العقّالُ أن نحيا أساري ... حياةَ السيف في سُدَفِ القِراب(٢)
فلا ندري لوجه البحر لوناً ... سوى الموهومِ من لمع السراب
ولا نقتاتُ من زاد الأماني ... سوى المظنون من يوم المآب
فهل سمعَ الشقيّ بما أفاءتْ ... علينا اسكندريةُ من ثواب ؟
هَديرُ البحر كان يهيجُ عمداً ... ليطربنا على بُعْد المشاب
وحَبّ الرمل صار لنا مهاداً ... مُطرَّزة بأزهارِ الروابي
فأمسي الاعتقال على اجتواه ... رخيَّ القيد مأنوسَ الرِّحاب(٣)

* * *

عروسَ البحر، حدِّثني شهودٌ ... بأن الشط صارَ إلى تباب
فلا غيداءُ تخطرُ في رِحاهُ ... كرقص البدر من خلف السحاب
ولا صَبٌّ خَطورُ الخد يمشي ... على جَنباته مَشْيَ الحُباب
ولا صهباء يحسُوها بنوهُ ... وقد قُبستْ من الذهب المذاب
إذا طافتْ بهم هاموا تخفّوا ... لِتقبول الجبانة والدِّعاب
وأمسوا والكواكبُ في عُلاها ... لهم أسلابُ فتكٍ وانتهاب
سُلافٌ صانها «باكوسُ» عما ... يشوبُ الراحَ من إثمٍ وعاب(٤)
ألمْ يثقل على حُكماء قومي ... وقد عاقرتها وِزْرُ اغتيابي ؟

* * *

أميرَ الشطّ كنتُ فأين عهدي ... برمحي الحسن في الشطّ المُجاب
وأينَ رِمالهُ مني وكانتْ ... مناسكَ صَبْوتي في كلّ (آب)(٥)

---

(١) الجوازي هي الظباء لاجتزائها بالعشب عن الماء

(٢) القواصف هي الرياح التي تثور في البحر . أما العواصف فهي الرياح التي تثور في البر

(١) العزاء هي الأرض الصلبة ، وكان موضع الاعتقال في بقعة جرداء بناحية « سيدي بشر » قبل أن تصبح تلك الناحية من ملاعب الصيف

(٢) القال على وزن سجان هو حارس المعتقلين ، والسدف جمع سدفة بالضم وهي الظلمة ، والقراب بكسر القاف هو الغمد

(٣) الاجتواء : البغض

(٤) باكوس هو إله الخمر عند اليونان ، وبه سميت ضاحية كبيرة من ضواحي الاسكندرية

(٥) آب : شهر أغسطس ، وهو أم شهور الاصطياف

إليها كان حَجِّي وأعتماري ... وفيها كان خَتْلي وٱختلابي
فكيف أذوق للصَّبَوات طعماً ... وعن عَرَفاتها طال ٱحتجابي ؟

* * *

ندامَى البحرِ ، سوف أعود يوماً ... لأُطفئ ما بقلبي من لؤاب[1]
نشيدي في التصوف كان لحناً ... نقلتُ صداه عن قصف العباب
سوايَ يَرى الوجود إن ٱجتلاه ... سطوراً ناطقاتٍ في كتاب
ويجلوه لوجداني ورُوحي ... إذا ماشئتُ إظلالُ السحاب[2]
وهل كانت حياة الناس إلا ... قلائد صاغها رَبُّ الرِّباب[3]
عشقتُ البحرَ والصحراء عشقاً ... به طال ٱندفاعي وٱنجذابي
أُطِلُّ على الفضاء فتَرْدَهيني ... رِحابٌ غارقاتٌ في رِحاب
وأنظُر للوجودِ فلا أراهُ ... سوى خمرٍ تعاقَر أو رُضاب[4]

* * *

أخِلّائي هنالكَ ، حدِّثوني ... حديثَ (النثر) وٱنتظروا إيابي
أفوقَ رُبوعه غامتْ سماءٌ ... مؤَجَّجةٌ بأقباسِ اللُّهاب[5]
وما القومُ الذين عَدَوْا عليه ... كعدوان الذباب على الشراب ؟
أكانوا جِنَّةً صُمًّا فماتوا ... به عَيْثَ الأراقم بالوِطاب[6]
أكان (النسر) في التحليق أدنى
إلى الإسفاف من ذاك (الغراب) ؟
وما الألمانُ إلا قومُ بَغْيٍ ... أثيمُ الجِدِّ مذمومُ القِطاب[7]
نِطاحٌ كلُّه سَفَهٌ ولؤمٌ ... ولو كَرِه المصانعُ والمحابي

* * *

أحقٌّ أن نادى (النثر) أقوى ... وأفقر من أحاديث الصحاب ؟
فلا «النشارُ» يسأل غير صاحٍ ... ولا «شيبوب» يحلم بالجواب ؟
«أبو شادي» أفاقَ ، فمَن بَشيري
برَجْعِ الأمنِ للنثر الهَاب[1]
وكيف يَعيشُ رُوحٌ كان أُنسي
وإنْ أُلِفَ اللجاجةَ في العِضاب ؟
أكاتِمُ حبَّهُ قلبي وأمضي ... فأُعلنُ بُغضه عند العتاب
هو الدنيا : وقد جُنَّتْ فصاغت ... رحيقَ هواه من شهد وصاب

* * *

بأهل اسكندريةَ بعضُ ما بي ... من الأحزان للنثر المُصاب
سمعتُ حديثَ نكبتهم فأمسى ... فؤادي في انصداعٍ وانشعاب
ملائك من أديم الخلد صيغوا ... ليومِ الوَجْدِ أو يوم الغلاب
أعزَّ البحرُ أنفسهم فعزوا ... فهم قوم أعتلاء وٱصطخاب
هُمُ الحراسُ للوطن المُفدّى ... من العادينَ أشباه الكُلاب[2]
فكيف تبددوا وأدال منهمْ ... مديلُ البأس من وكر العُقاب[3]
تُساق إليهمُ الأقوات ، هلاّ ... تساق إليهم عُددُ الحراب ؟
أغيثوهمْ بسَيْفٍ لا يزاد ... فهم خلف القساورة الصلاب[4]
أمِدوهم ، إذا شئتم ، بجيش ... وقاح الوجه منزوعِ النقاب
فما حَفظ الديارَ سوى حسامٍ ... به ظَمأٌ إلى يوم الضِّراب

* * *

أجب «عبد القوى[5]» وأنت شهم
سريعٌ لا يُداورُ في الجواب
أأنت ترى «المخابيَ» واقيات ... وهنَّ أذل من غار الضِّباب ؟
وما شرف الفتى وقد ٱستنامتْ ... جوانحُه إلى مثوى الهوابي[6]
لنا مارِض نَسيناهُ فضمَّنا ... ضياعَ التبر في جوف التراب
لقد كنّا ، وكنا ، ثم كنا ... أداة الفتك من ظفر وناب

---

(١) الؤاب : العطش

(٢) أجمل الشاعر في هذين البيتين معنى فصله في « ذكريات باريس » في بحث عنوانه « بين فصول الكتاب وآيات الوجود »

(٣) الرباب هو ما دون السحاب ، فالسحاب ربه ، ورب السحاب هو البحر ، ورب البحر هو الله . وللشاعر عقيدة صوفية تقوم على أساس « الحقيقة البحرية » وهي عقيدة لا يتسع لشرحها المجال ؛ وقد تفتح أبواباً من الجدل لا يطيقها أكثر الناس ، لأنها تخالف ما اصطلح عليه الصوفية

(٤) يريد الشاعر أن يقول إن الوجود كله جميل حتى ليحسبه رشفات من خمر أو رضاب

(٥) اللهاب بالضم هو اللهب أو اللهيب

(٦) الأراقم هي الحيات الرقط ، والوطاب مفردها وطب ، وهي أوعية اللبن ، والحيات تحب اللبن إلى حد الجنون ، والعرب يصفونها بالصمم ليبالغوا في قدرتها على الايذاء ؛ وهو الوصف الذي أضافه الشاعر إلى أولئك الجن العائثين

(٧) القطاب بكسر القاف هو المزاح

(١) اللهاب بفتح اللام ، هو المكان الذي يكثر فيه التهيب والخوف . وإفاقة الدكتور أبي شادي تستحق التنويه ، فقد سقطت قنبلة على بعد خمسمائة متر من داره ولم يصب بسوء . وتلك أول مرة تظهر فيها كرامة « أبوللون » ! ! (٢) القلاب . بضم القاف ، داء يعصر القلب

(٣) العقاب ، بضم العين ، طائر من الجوارح

(٤) القساورة : الأسود

(٥) هو المهندس الأديب عبد القوى أحمد باشا وزير الوقاية المدنية

(٦) الهوابي : أتربة القبور

ركزنا الرعب فى مهيع الضوارى فكيف تروزنا مهيع الذئاب ؟
لوادينا القوىّ عتت وجوه عزيزة بالانتساب والاكتساب
ألم تدفن بوادينا قروما
أرادوا الشرب من أمواه (حابى) (١)
فكيف نكولنا عن ردع قوم لئام البنى منكودى الإصاب (٢)
هم ظنوا الكنانة زاد يوم كظن النمل فى تسف الهضاب
فإن فازوا فسوف نكون منهم مكان البحر من لعب الضوابى (٣)
وسوف نظل نحن كما فطرنا أباة الضيم أحرار الرقاب
عركنا الدهر جيلاً بعد جيل وكابدنا الألوف من الصعاب
فما هنا على الأقدار يوماً ولا أمست بوارقنا نوابى (٤)
ألم نشرق على الشرق المسنى فندفع عنه آصار الضباب ؟ (٥)
بنا وثقت شعوب لم تواجه بروق الغرب إلا فى ارتياب
بنا استهدت بصائر لم ترضها خداعاً بالمواعيد الكذاب
كدأبكم وقد مرنت منها كم على ستر الخيانة بالخلاب (٦)
أكان العلم فى عالى سناه ذريعة الاسترقاق والاستلاب
أروني منة أسلفتموها بلا نهب يراد ولا اغتصاب
طلائع كان علمكم ليوم يهون بجنبه يوم الحساب
ولم يك علمنا إلا نظيراً لضوء الشمس يزهد فى الثواب
أأنتم تفتنون بما ملكتم من العدد النذيرة بالخراب
ولا تزهى بآراء صحاح هى المنشود من فصل الخطاب
فإن تخلد مآثرنا وتسلم على التاريخ من شبه المعاب
فذاك لأنها آثار قوم كرام الروح أطهار الإهاب
لنا الخلد الذى لن ترزقوه ولو أوتيتم ملك السحاب
نخبئوا فى المطامع كيف شئتم
وخوضوا القاعات من العقاب (٧)
ورودوا الأرض فى شرق وغرب
بكبر الليث أو زهو الغراب

وصولوا آمنين بنار حرب تحيل الزهرات إلى يباب (١)
فسوف تروننا بعد مدى قصير فرائس للمحاق وللذهاب

* * *

بأهل اسكندرية بعض ما بى من الأحزان للشعر المصاب
أتتك قيامة قامت فدكت
حصون البأس من تلك الطوابى (٢) ؟
فمن كهل سديد الرأى يعيى لوقع الهول مفقود الصواب
ومن رشأ تصيره الرزايا
وقيذ الشيب فى شرخ الشباب (٣)
ومن عذراء يلفظها حماها فتخرج للبلاء بلا نقاب
قوارع لم تقع إلا بأرض يقارع أهلها وقد الحراب (٤)
فما آثام أهل (الثغر) حتى يشن عليهم ويل العذاب ؟
مضت زمر إلى الأرياف منهم مضى الأسد من غاب لغاب
فكيف استقبلوا بدار لقاه جشيب العيش فى تلك الشعاب ؟
أمن بعد الحشايا ناعمات يكون بساطهم متن التراب ؟
إلى جلواتهم فى الصيف كانت ترف أطايب الحسن الشباب
وفى داراتهم كان التنادى
إلى الصبوات فى الشط الرغاب (٥)
فكيف مضوا حيارى لم يثوبوا إلى زاد بعد ولا ثياب ؟
وكيف غدوا بهذا السيف صرعى
لشئوم الشتات والاغتراب ؟
كذاك العيش بؤس بعد لين وشهد يستقى من بعد صاب
ومن عشق السلافة فى صفاها أحب لحبها رنق الشباب (٦)

* * *

عروس البحر ، نسرف إن رأينا
حياتك فى المزاح وفى اللعاب (٧)
وكيف وفى معاهدك الخوالى تسابقت العقول إلى الوثاب ؟
بكل محلة وبكل أرض مآثر منك طيبة الانتساب (٨)

(١) حابى هو اسم الليل عند قدماء المصريين ، والحابى هو الوهاب
(٢) الإصاب مصدر أصاب ، كالإقام مصدر أقام وفيه إعلال بالحذف
(٣) الضوابى : النيران (٤) البوارق : السيوف
(٥) الآصار : الأثقال
(٦) الخلاب بالكسر ، هو الخداع
(٧) العقاب جمع عقبة بالتحريك وهى الطريق الصعب فى الجبل

(١) اليباب : الخراب
(٢) الطوابى : القلاع ، وهى كلمة تركية الأصل
(٣) الوقيذ : المطعون
(٤) الحراب : المحاربة
(٥) الرغاب ، بفتح الراء ، القصيع
(٦) الصباب ، بضم الصاد ، بقية الكأس ، والرنق : الكدر
(٧) اللعاب : الملاعبة (٨) النصاب : الأصل

وما روما وآثينا إذا ما تباری الفاخرون بالانتساب ؟
منار العقل كنت بلا امتراء ونار القلب كنت بلا ارتياب
بكى التاريخ من عهد لعهد
مصاب العلم فی (دار الكتاب)[1]

فهل كانت بدائعها لقوم أجانب عن مرابعك الرحاب ؟
بَنَاكِ أسكندرٌ فيا بَنَاهُ كذلك قِيلَ رَجْماً بالمَغَاب[2]
ولو أمسى أولو الألباب يوماً لِمَسْحِ الوحی فی تلك الرِّوابی
لَآمَنَ فِتيةٌ منهم برأی يُخَالُك صادقاً «بِكْرَ العُبَاب»
وهل «ڤِيتوسُ» عندَ مُرَبِّيها
سوی «راقودَ» فی أحلام «حابی» ؟[3]

لِـ «كِيمی» أنت، يادارَ التنادی إلى الهيجاء أودارَ التصابی[4]
لِـ «كِيمی» أنت من أيام نوح توارثك أبنٌ عن خير آب[5]

* * *

مَضى عهدُ القياصر فی أنزعاج بأرضِ اسكندريةَ وانقلاب
بلادٌ لم تكن إلّا مُجالاً لِشبُّوب الصِّيال والاحتراب
بجمْر الثورة الحمراء يُغذَى بَنُوها لا يزاد أو شرابِ
وجاء الفتحُ فانقادوا لقومٍ مساكنهم بصهوات العراب[6]
هوَ الإسلامُ طهّرهم فأضحوا
كماء المزْن فی شُعَب اللِّصاب[7]

فهل يَدری المؤرخُ كيف صاروا
طلائعَ للجهادِ وللضِّلاب ؟
عليهمْ حول الإسلامُ فيا أرادَ من المغارة الصِّلاب
فأمّوا الغربَ يحرسهم تقاهم وقد مشت الملائك فی الركاب
وحلوا عادلين به كراماً حلول النيث بالبقع الجداب
فلما أنْ هوت شمس المعالی بأندلسٍ ولاذتْ بالحجاب
تقاطر أهلها يبغون حصناً يقيهم شر أيام التباب
إلى جفن الحمى بالنثر عادوا كما عاد الجراز إلى الغراب[1]

* * *

أتاريخاً يحبّره قصيدی لماضی «النثر» فی عهد الشباب ؟
وما الشمس المضيئة إن حكتها لرائيها خيوط من لعاب ؟[2]

* * *

عليك اسكندرية أجّ حزنی فطار تجلدی وهوی صوابی[3]
إذا فكرت فيك غلت دمائی وآذن جمر حقدی بالتهاب
ألا سيف أجرده وأمضی لأدفع عنك عادية الذئاب !
ألا جيش قوی البطش ضار يذيق عداك أكواب العذاب ؟
سأصمت كارهاً، والصمت حيناً يعدّ من البراعة فی الجواب

زكی مبارك

---

(١) دار الكتاب هی مكتبة الاسكندرية المشهورة فی التاريخ
(٢) المغاب هو الغيب، ومعناه الظن والتخمين
(٣) يريد الشاعر أن يقول : إن الأسكندرية كانت موجودة قبل الأسكندر بأزمان طوال، وإنما سمی أحد أحيائها باسمه، فغلبت التسمية على مر الزمان، واسمها القديم راقود. وهنا التفت الشاعر لفتة خيالية، فجعل «راقود» نظيرة «فينوس» و«ڤينوس» هی ربة الجمال عند القدماء وقد ولدت على شاطئ البحر، وكذلك ولدت «راقود»، وذلك معنى قوله : إنها «بكر العباب». ومن المؤكد أن «راقود» هی أقدم المدائن البحرية، لأن طبيعة ذلك المكان من شواطئ مصر توجب أن يكون أهلا للحضارة والعمران
(٤) «كيمی» هو اسم مصر عند أهلها القدماء، وكيمی معناه السواد، وسميت «كيمی» لغلبة هذا اللون على أرضها، ومن كيمی جاءت لفظة «الكيمياء» لشهرة المصريين بالتفوق فی الاختبارات الكيميائية
(٥) «الآب»، بالمد، هو : «الأب» ؛ وهذا المد جاء لعلة صرفية هی تعويض الحرف المحذوف وهو الواو، وهو يعوض فی لغة التخاطب بتضعيف الباء ؛ فقول النصارى «باسم الآب» صحيح من الوجهة اللغوية
(٦) «العراب» : الخيل العربية، وساكن العرب فی أيام بأسهم كانت بصهوات الخيل
(٧) «اللصاب» جمع لصب، بكسر اللام، وهو الشعب الضيق فی الجبل، وهو يحفظ الماء من الأفناء

(١) الجراز، بالضم، هو السيف القاطع، والشاعر يشير إلى حقيقة تاريخية، وهی أن فريقاً من الجيش الذی فتح أفريقية ثم دخل الأندلس كان من الأسكندرية، فلما غاب نجم الاندلس لاذ كثير من أهلها بالأسكندرية، فكثير من العائلات بالثغر يرجعون إلى أصول أندلسية ومغربية، وذلك سر الفراسة الغالبة على طباع الأسكندريين
(٢) لعاب الشمس شعاع ينحدر من السماء عند الظهيرة، والتاريخ لا يصور الحقائق إلا بمقدار ما يصور اللعاب حقيقة الشمس
(٣) أج الحزن : استعر واضطرم

إدارة البلديات — تنظيم
تقبل العطاءات لغاية ظهر ٤١/٨/١٤
ببلدية المحلة الكبرى عن توريد شعير
وتطلب الشروط منها مجاناً
٨٤٣٨

من الأدب الحضرمي

ابن شهاب العلوي

للأستاذ علي عبود العلوي

[السيد أبو بكر بن عبد الرحمن بن شهاب الدين العلوي شخصية بارزة في سماء الأدب الحضرمي تأتي نجمها من أواخر القرن الثالث عشر الهجري إلى أوائل العقد الخامس من الرابع عشر

وقد تزعم الحركة الأدبية بحضرموت وهو لم يتجاوز العقد الثاني من العمر ونهض بحضرموت في عالم الأدب بعد أن كان حظها من النهوض فيه قليلا

ولئن تغلبت عليه الناحية العلمية فاستأثرت منه بالتفكير وقطعت من حياته جزءاً عظيما في التأليف ، وأرغمته أن يترك لنا ذخيرة في العلم وثروة كبيرة جليلة المقدار تقارب الثلاثين مؤلفاً ، فأشهد أنه فوق هذا كان الأديب بالطبع ، والأدب سلوته الوحيدة وثروته التي لا تنفد ، ورأس ماله العظيم

ولو وجد في بيئة شاعرة لكان منه أديب كبير نفاخر به العالم قرأت ديوانه منذ ثلاث سنوات وعلقت عليه مذكرات يصح أن يستقل بها كتاب خاص وهذه الكلمة من إحدى فصوله

زار ابن شهاب مصر والعالم العربي والاسلامي عام ١٣٠٣ هـ وألمعه جو مصر بست عشرة قصيدة

ولد الشهاب العلوي بحضرموت سنة ١٢٦٢ هـ وتوفي بحيدر أباد دكهن بالهند في ٢٩ / ١٢ / ١٩٢٢ الموافق ١٠ / ٥ / ١٣٤١ هـ]

البيئة المحافظة وحياة الشاعر :

قضى الأمر ولات مفر أن ينشأ شاعرنا في البيئة المحافظة وهو الشاعر . والشاعرية ثورة نفسية تطمح لتحطيم القيود ، وتجنح إلى إرضاء النفس واتساع العاطفة ، وتميل إلى التغني بمحاسن الجمال ، وتخفق أجنحتها حينما ترى الوسامة والصباحة في الفد السمهري تخطر في كوكبنا الأرضي ، كالنجوم تتلألأ في السماء !

ولكن يحول دون ورود مناهل هذه الرياض ذات الأريج المنعش ما سنته أحلام الفلاسفة وفرضته الأديان وأقره العرف واصطلحت عليه الإنسانية منذ عصورها الأولى فورثته لنا أجيالها القديمة حتى صار من الأسس المقررة التي لا يمكن الخروج عليها دون أن تثور ثائرة الرأي العام وتقوم بصخبها المعظيم تجاه النفوس الحساسة الرقيقة

ولئن كانت في هذه الثورة نوازع إنسانية كثيرة جديرة بالإكبار والإعجاب ، فإن فيها من الشطط والإجحاف بحقوق العالم الروحي شيئاً كثيراً ، لا سيما وأن المجتمع الحضرمي كغيره من مجتمعات بني الدنيا ، قد أضافوا إلى القيود التي ترتضيها العقل والدين والعلم قيوداً أخرى لا تمت إلى الإصلاح بشيء

اللهم إلا إن كان جانب الإصلاح فيها ضئيلاً . وعلى كل فلن يقاس بالجانب المعظيم الذي فقدناه من جراء كتم العواطف عند ذوي الإحساس المرهف ، القادرين على التعبير عما تجيش به نفوسهم .

وإذا كانت هذه الأبوة الطفيلية تتهادى بها الأمم ، وتنتقل منها ولو إلى قطر بعيد كحضرموت قل من يقصده بالزيارة من بين الأقطار العربية والإسلامية بله الأقطار الأجنبية .

فإن حضرموت فوق ما سرى إليها من العدوى بيئة عربية إسلامية صوفية ، بلغت المثل الأعلى في تطبيق القول بالعمل ، حتى كأنها المعنية بقول الشاعر :

كأن ربك لم يخلق لخشيته ... سواهم من جميع الناس إنسانا

في هذه البيئة نشأ شاعرنا الشهاب العلوي ، وجاشت نفسه بالشعر وهو في سن المراهقة ، فتغنى وأغنى الشعب الحضرمي بالشعر الغنائي الوجداني ، وذاعت شهرته في النوادي الحضرية ، وفي المجتمع الحضري على اختلاف طبقاته ، لأنه كان يقول الشعر وهو في هذه السن المبكرة بلغة حضرموت الدارجة ، وبأوزانها الشعرية مما يدعونه بالشعر الحميني ، أي غير الشعر المعرب ذي الأوزان العروضية الخليلية

والشعر الحميني قد يكون مرسل القافية كما يكون رباعياً ،

وأحياناً ثنائياً بلا نغم مردد ، وإما ثالثاً بالنغم المردد[1]

فاضت نفس شاعرنا بالشعر الحميني وملأت به الجو الحضرمي

(١) الأنغام الحضرمية ليست لها دائرة علمية تنظمها وإنما ترد إلينا تباعاً من أماكن عديدة بحضرموت كوادي حجر بن دغار — ولوادي حجر ابن دغار في تاريخ حضرموت القديمة مكانة مرموقة في التاريخ ليس هنا موضع ذكرها — وترد إلينا من منحدر وادي حضرموت الشرقي وسمونه الغناء الحدري ومن غير هذه الأماكن

وجل الغناء الشعبي يدوي الهجة ولكنه يكهرب الحضرمي ويبعث فيه السرور والنشوة ويوقظ فيه الحمية والأريحية والنجدة

لم أهتم بدراسة الموسيقى — الأنغام — الحضرمية عند ما كنت بحضرموت ، ولو قصدت لما استطعت لأني أجهل علم الموسيقى ، وإنما الذي يعنيني أن أقوله : هو أن أساتذة الأنغام كما سمعت عنهم : كثيراً ما يهيمون في الجبال والأودية يترقبون الوحي وهم في النزلة حتى يفتح الله عليهم أو تلهمهم آلهة الشعر ما تصبو إليه نفوسهم فيعودون إلى أهلهم وأقاربهم وهم تملون بما اكتنفوه من آيات الفن الثنائي وقد توجوه بما تحيش به نفوسهم الشاعرة من الشعر ليتغنوا به وليذيعوه ما بين الشعب الحضرمي

وما هي إلا أيام قلائل حتى ينتقل من بلد إلى بلد ومن قرية إلى قرية ومن واد إلى آخر حتى تتغنى به حضرموت كلها ، ولا يقتصر التغني به على عامة الشعب بل تردان به مجالس الطبقة المثقفة وتتهافت سراة القوم وأرباب الأدب على القول فيه ، والفرق بين القول والقول هو ما تنتجه القرائح المثقفة والتي لم يكن لها نصيب من التثقيف

شهدت حفلة زواج لأحد سراة العلويين وأدبائهم سنة ١٣٤٠ هـ — هو السيد العلامة الأديب المرحوم الحسن بن عبد الله الكاف العلوي المتوفى بفرم سنة ١٣٤٦ هـ وعائلة آل الكاف إحدى العائلات العلوية المشهورة بالثروة والغنى وحب الاصلاح — وفي الليلة الثالثة من حفلة الزواج كانت حفلة سمر حضرتها كما شهدها بعض أقرباء العروسين وغيرهم ، وكان يحيي عند السيد الكاف مغنٍ رخيم الصوت حسن الغناء ، وبعد أن قدمت أنواع المرطبات بمختلف أجناسها استدعى السيد المذكور المغني واقترح عليه الغناء بأحد الأنغام الحضرمية وأخذ يملي عليه الأبيات تلو الأبيات وما انقطع عن قول الشعر إلا بعد أن استأذن للانصراف . ومما أريد أن أقوله للدلالة على الفوارق الأدبية والتي لم يكن لها حظ منه ، أو كان لها حظ منه ولكنه قليل ، أن أحد أقرباء العروسين غاب عن المجلس هو وابن خاله . وفي أثناء غيبتهما قدمت أصناف المأكولات ، وبعد عودتهما علم قريب العروسين بما لم يرزقه الحظ أن يناله فقال مخاطباً السيد الكاف :

يَا عَمِّي حَسَنْ قُمْ هَاتْ قِسْمِي مِنْ عِنْدِ الحبائِبْ قِدْهْ
مَسْمِيْ لِي مَطْرُوحْ طَالِعْ وَسْطِ لِصْحَانْ صُبِّيْ يَا مَطَرْ وَالرَّعْدْ
حُنَّانْ تخميس

فأجابه السري السقاف : رُوْعَكْ قَدْ بَدَرْ وَالوَشِرْ ، مِرْمِيْ
حَظَّكْ قَدْ قَصَرْ ، سَايَرَتْ مَعْمِي بِنْ خَالَكْ عُمَرْ ، له قلب حيران...
صبي يا مطر

ألفاظ الأبيات : الأصحان بمعنى الأطباق . روعك نصيبك . الوشر نشارة الخشب والكلمة مشتقة من وشر ولم يراعوا القاعدة في التصريف

ولكنها بعد ذلك سمت إلى أن تسامى في القصيد العربي الخالد ، وأن ترد المنهل الكبير منه ، وأن تشاطر في المثل السامي الذي اتخذته العروبة لها نبراساً تستقي به مطلعها الشعرية

وليس من الصعب على نفس شاعرة بطبيعتها ألا تهتدي إلى بنائيه العذبة ، ولكن من الصعب علينا نحن أن نتبين تاريخ الدور الذي جنحت إليه نفس شاعرنا بالضبط ، لأن ديوانه قد خلا من إثبات أشعاره وهو في دور العقد الثاني وأ العقد الثالث ؛ وكل ما نعرفه عن مقدرته الشعرية في هذا الدور تلك الأرجوزة التي نظمها في علم الفرائض ، وضمنها كل ما يحتويه الفن إجابة لاقتراح أحد مشائخه عليه[1] ، والتي يقول في مطلعها :

لله حمدي وارث الأرض المتين ومن عليها وهو خير الوارثين

وفي ختامها يقول :

فاصفح وأصلح مابها من الغلط فقد أتى: من ذا الذي ماساء قط
وعذر من لم يبلغ المشرينا يقبل عند الناس أجمعينا

أو قصيدته التي امتدح بها شريف مكة الشريف عبد الله باشا ابن عون الحسيني وعمره إذ ذاك ٢٤ سنة ، قال :

حي الحيا حياً به حلت سُما ومنازلاً خطرت بهن وأربعا
وهمت على الوادي الذي سكنت به ديم تغادره أنيقاً ممرعا

(١) نظم السيد ابن شهاب الأرجوزة وعمره ١٨ سنة وشرحها فيما بعد بكتابه سماه : الفتوحات . وقد أكبر المنظومة والشرح علماء حضرموت واليمن وانتدب أحد أشراف اليمن وعلمائها فوضع عليها حاشية

ويقال : إن السيد ضمنها علم الفرائض ولم يغادر منه شاردة أو واردة إلا أشار إليها . ومن العجب أن يتهيأ له نظمها في ليلة واحدة . وكما أذكر أن أبياتها نحو ٣٠٠ بيت

ونس صديقنا الأديب الشاعر صالح الحامد العلوي في مقال له : نشر من ابن شهاب على أن المقترح لنظم الأرجوزة هو الامام العلامة كبير علماء حضرموت ومعين أعيان مشائخ الصوفية السيد علي بن محمد ابن حسين الحبشي العلوي المتوفى بسيون يوم الاثنين ٢٠ / ٤ / ١٣٣٣ : وأنا أروي قوله بتحفظ : لما بين ميلاد السيد ابن الجليلين من تقارب في المدة فقد وجد ابن شهاب عام ١٢٦٢ هـ والامام الحبشي في ٢٤ شوال سنة ١٢٥٩ هـ . وإن لم تخني الذاكرة فان المقترح لنظم الأرجوزة هو شيخه المؤرخ النسابة مفتي حضرموت السيد عبد الرحمن بن محمد المشهور العلوي الموجود بفرم ١٢٥٠ هـ والمتوفى بها ليلة السبت ١٦ / ٢ / ١٣٢٠ هـ

وسقى العهاد مساهداً بسفوحها تختال جارات الصفا والمدعى
دمم أوانس سيدهن محرم ليظلن فى تلك المحاجر رتّما
سود الذوائب والجلاب والعيون القاتلات متيما ومولما
من كل غانية بلطف حديثها ودلالها تذر الفؤاد مقطما
يا ظبية البطحاء مهلاً إننى بهواك ذو كلف سقيما موجعا
هل تسعفين فدآ لحسنك مهجتى بالوصل فاشفف يفيض الأدمعا
واقضى لبانتـــه لديك وزحزحى
عن وجهك الحسن الصبيح البرقعا
حاشا لحسنك أن يكون محرماً ولمثل وصلك أن يكون ممنعا
تيهى فإنك فى الحسان مليكة يأتين نحو حماك شعثاً خضعا
وتمايلى بحلى محاسنك التى لم تتركى لسواك فيها مطمعا
وتبخترى جذلاً فقد جاوزت من جمع المفاخر والمكارم أجمعا
قمر البطاح خليفة الحرمين مو لانا أباشرف الشريف الأروعا
إلى آخر ما قال

ومن الظلم ألا أشير إشارة إجمالية إلى أن ابن شهاب فى هذا العهد لا يزال يتوثب للصعود، ولكنه مكبل بقيود الصنعة الزائفة :

حى الحيا حياً به حلت سعا ومنازلاً خطرت بهن وأربعا

أو سود الذوائب ... الذى مصدره التقليد المحض أو الإعجاب بما قال أبو الطيب :

من الجآذر فى زى الأعاريب حمر الحلى والمطايا والجلاليب

والفتى الناهض لا بد أن يتحرر يوماً ما وأن يصبح حراً طليقاً ليتغنى بالشعر كما توحى به العاطفة، لا كما تريده الصناعة الزائفة. وفى الفصل الذى يتضمن الكلام على الأدوار التى اجتازت بها شاعرية شيخ حضرموت سترى ذلك

وإذا كان الشىء بالشىء يذكر، فإن الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد ذكر عن أهل الجيل الماضى بأنهم كانوا لا يرون الشعر إلا مناسبة لسانية، ومساجلة كلامية، ولياقة منطق، وسرعة جواب وارتجال[1]

وكذلك قدر لابن شهاب أن يدخل فى شراك هذه الأحبولة الضيقة، فإن الشريف عبد الله ارتاب فى أن تكون القصيدة لشاعر حضرموت، وظن أنها مقولة على لسانه؛ لا سيما وقد شايعه على هذا الرأى أحد ندمائه، إذ أسر إليه فى المجلس بذلك فاقترح الشريف على شاعرنا أن يجيز البيت الآتى ليختبر بذلك قريحته :

صفى الوقت لا أبناء الزنا ولمن يحسن ضرباً وغنى

ولا مناص لابن شهاب من أن يقيم الدليل على شاعريته فيقول[1] :

وبنو الدهر كما قد مال ما لوا إلى من كان منهم ذا غنى
قل أن يوجد منهم منصف أنا قد جبت القرى والمدنا
وبلوت الناس طراً فإذا أكثر الناس أرقاء الدنا
جانبوا الصدق الذى من قاله بان إبريزاً إذا ما أمتحنا
عزفت أنفسهم عن كل من كان من أهل المثانى والثنا
وغدوا لم يرفعوا رأساً بمن لهم الآداب كانت ديدنا

ذلك ذوق عصر نرجو بأنفسنا اليوم أن نقفو إثره أو نتبع خطواته. وما أدرى مقدار صحة الرواية التى نصت على الحكاية المذكورة، وإن كنت أعرف أنها دليل على انحطاط الذوق الأدبى والاجتماعى

يا ترى ماذا أريد أن أقول؟!

أظننى أريد أن أقول : إن السيد ابن شهاب كثيراً من الشعر الوجدانى الذى ماجت به عاطفة الشباب ودفعته به خصوبة النفس اليقظة الشاعرة التى يستهويها الجمال، والتغنى بمشاعر القلب والوجدان، ولكن ظروف البيئة المثقفة بالروح الصوفية هى التى حرمتنا الاستفادة من شعر الغناء والوجدان.

ومن ناحية أخرى فإن العزلة التى استهوت حضرموت والتى لا تزال تستهويها إلى اليوم وصيرتها بمعزل بعيد عن الأخذ بوسائل النهوض وتنمية المعارف والثقافة، هى التى هيأت الفرصة

(١) ٨٩ من شعراء مصر

(١) ٢٤٧ من ديوانه

لأن يتكمش ابن شهاب فى آخر عمره عن نشر آثاره التى تحمل سورة الصبا ومطارح الفتون والفتوة .

ولو كانت لنا إذ ذاك مجلة أدبية أو صحيفة سياسية أو اجتماعية لما أمكن شاعرنا أن يتنازل عن بنات أفكاره ؛ ولأنه لو فعل لاستطعنا الوصول إلى أشعاره بلا أقل كلفة ولا عناء .

ولا تزال ترن فى أذنى سورة القصيدة التى أنشدنى إياها حفيد الشاعر الأديب السيد حسن بن عمر الشاطرى العلوى وذلك منذ سنوات وأنا بجاوة .

نعم لا أزال أذكرها لاستحسانى إياها إذ ذاك وهى من الأشعار التى لم تثبت فى ديوانه [1]

وإنا كنت على ذكرى لإعجابى بالقصيدة فإنى لا أعرف الأسباب التى حالت بينى وطلب نسخة منها من صديقى الأديب لاحتفظ بها مع المذكرات التى جمعتها فى تاريخ حضرموت .

لا أريد أن أحجم عن أن أبين الغرض المقصود من ذلك

إن السيد ابن شهاب كما ذكرت فى جملة التعريف به أكبر شخصية تزعمت النهضة الأدبية فى عصره الحضرمى . ومن كانت له هذه المكانة السامية جدير بأن تعطينا المعلومات الكافية عنه من كل الجهات ، وأن نتعرف إليه وهو فى سن الصبا كما نتعرف إليه وهو يافع وفتى وكهل لأن التعرف به هو التعرف إلى الأدب الحضرمى فى الصميم

ودراسة الأدب الحضرمى هى دراسة البيئة الحضرمية بما لها من مكانة علمية وأدبية وما فيها من عادات وأخلاق وميول ومشارب واصطلاحات وروح فكرية وصوفية

وهذه كلها قيم تاريخية جديرة باعتبارها فى المكان الأول فى تاريخ حضرموت الأدبى ، والبيئة المحافظة تقيس الآداب والفنون بمعيار علم الأخلاق .

على عبود العلوى

(١) فى انتناحية الديوان ما نصه :

« هذا ما أذن بنشره العلامة المصقع البليغ المتفنن السيد أبو بكر بن عبد الرحمن بن شهاب الدين العلوى الحسينى من شعره بعد عرضه عليه وتنقيحه لأكثره دون ما لم يأذن فيه أو استولت عليه أيدى الضياع من قبل فان له شعراً كثيراً ذهب مع الأيام » صحيفة ١٠٧

تاريخ بغداد

للحافظ أبى بكر أحمد بن على الخطيب البغدادى

وضعه فى أزهى عصور الاسلام منذ تأسيسها إلى وقته عام ٤٦٣هـ ويشتمل على وصفها وتخطيطها وما كانت عليه من الحضارة والمدنية ويترجم فيه : « الخلفاء ، الملوك ، الأمراء ، الوزراء ، الأشراف ، والنحاة ، الصرفيين ، اليانيين ، النحويين ، القراء ، المفسرين ، المحدثين ، المتكلمين ، المنطقيين ، الأصوليين ، المجتهدين ، الفقهاء ، القضاة ، الزهاد ، النساك ، المتصوفة ، القصاص ، الوعاظ ، المهندسين ، الرياضيين ، الفلكيين ، المنجمين ، الموسيقيين ، الأطباء ، الصيادلة ، الجراحين ، الكتاب ، المؤدبين ، النسابين ، المؤرخين ، الشعراء ، المغنين ، وحذاق الصناع ممن نبغ فيها أو ورد عليها من غير أهلها وما انتهى إليه علمه من كنائم وألقابهم وأنسابهم ومشهور مآثرهم ومستحسن أخبارهم وتاريخ وفياتهم ، وختمه بذكر شهيرات النساء والأماء ومستملح لطائفهن . . . الخ

٦٧٥٠ صفحة فى ١٤ جزءاً (ورق شام)

وثمنه ٧٠ قرش صاغ والبريد ١٠ قروش

يطلب من مكتبة الجامعة بشارع محمد على بمصر

لازمكم بعد الآن !

أحدث الاكتشافات العلمية فى صحة الفم !

اليودكليدكلور للأسنان :

يودكليدكلور

أطلب النشرة العلمية الخاصة من :

جلان نهورمين صندوق بوستة ٢١٠٥ مصر

(س . ت ٥٢٢٧)

من تراثنا الأدبي

ما ألّف عن النساء

للأستاذ صلاح الدين المنجد

سمرنا ليلة عند صاحب لنا أديب، فتقضنا الأحاديث نقضاً، ثم ملنا إلى ذكر النساء وأخبارهن، والعرب وآرائها فيهن؛ وكان في المجلس متأدب فجّ العلم، أخذ اللغة عن الأعاجم وتخرّج على طرائقهم ونهج مناهجهم، ونحا في تفكيره منحى لا استقامة فيه. فذهب إلى استخفاف العرب بالنساء، وادعى أنهم لم يحفلوهن ولم يخصوهن بالتآليف، أو يفردوا لهن التصانيف؛ ودعم زعمه هذا بأقوال باردة لبعض المستشرقين

وقد أردت تتبّع هذا الزعم بالرد ... لتبيان طرافة جهل هذه الفئة، وضيق علمها، وأفن رأيها، وسخف دعواها؛ واستقرأت تراث الإسلام والعرب الزاهر، فإذا فيه تآليف رِحسان وتصانيف ملاح خصّوها بالنساء، وجلّوا فيها عن أسرار خفيّات وأخبار مكنونات، ولم يدعوا أمراً أدركوا صلته بهن إلا تكلموا عليه وبحثوا فيه

وليت أن هذا التراث العربي كان قد سلم ... إذن لرأينا من أخبار النساء كل معجب مطرب ... ولوجدنا فيه سيرهن وأحاديثهن وأسرارهن منذ الجاهلية حتى عصور الانحطاط:

١ — فقد ألف عنهن في الجاهلية كتب كثيرة، منها: كتاب « الموءودات » لهشام بن محمد ... بن الكلبي النسابة الأخباري[1]، وكتاب « المعروفات من نساء قريش » له أيضاً، وكتاب « المردفات من قريش » ألفه علي بن محمد المدائني المحدث المتكلم[2]، وكتاب « بغايا قريش في الجاهلية » ألفه الهيثم بن عدي الراوية الأديب الأخباري[3] ... وغيرها

(١) مات سنة ٢٠٦ أنظر أخباره في فهرست ابن النديم. ومعجم الأدباء ج ١٩ (دار المأمون)

(٢) ولد سنة ١٣٥ مات سنة ٢٢٥. أنظر الفهرست ومعجم الأدباء ج ١٤

(٣) مات حوالي سنة ٢٠٨هـ. أنظر وفيات الأعيان ج ٢. ومعجم الأدباء ج ٤

٢ — ثم خصوا نساء النبي وأصهاره بالرضاع وبنائه بعدد من الكتب لا يُحصى، منها: كتاب « أمهات النبي » للمدائني الذي مر ذكره، وكتاب « أزواج النبي » لمحمد بن عمر المعروف بابن القوطية، وكان نحوياً لغوياً أديباً شاعراً[1]، وكتاب « أزواج النبي » لابن الكلبي ... وآخر مثله للواقدي محمد بن عمرو المؤرخ الإخباري[2]، ثم كتاب « بنات النبي وأزواجه »، لأحمد الرقي الراوية الحفظة الثقة ذي التآليف الكثيرة[3]

٣ — وتكاموا على نساء المسلمين ممن أوتي الشهرة والملك في كتب شتى. منها كتاب « أمهات السبعة من قريش » لمحمد بن حبيب، وكان من علماء بغداد ومهرة مؤدبيها[4] وكتاب « أمهات الخلفاء » لابن الكلبي. وكتاب « من تزوج من نساء الخلفاء » للمدائني ... وغيرها

٤ — ثم ألفوا في أخبار النساء كتباً كثيرة، تمرّضوا فيها إلى أحوالهن ومعايشهن وطبائعهن وما يعجبن به أو يصدفن عنه وما قيل فيهن وروى عنهن. فقد ألف الجاحظ كتاباً أفرده على النساء وما يتصل بهن، وألف الهيثم بن عدي « كتاب النساء »، وصنّف هارون بن علي المنجم الأديب الشاعر الراوية النديم[5] كتابه في « أخبار النساء »، وألف المدائني كتاباً في « أخبار النساء » أيضاً. وكان الرقي كتاب في النساء، ولإبراهيم ابن القاسم الكاتب القيرواني الشاعر الرقيق[6] كتاب « النساء » قال عنه ياقوت « إنه كبير ». ولابن قتيبة العالم المؤرخ الأديب كتاب (النساء)[7]، وعمر بن خلف بن المرزبان كتاب (النساء والغزل)[8]

٥ — ثم ألفوا في الموضوعات الدقيقة الخاصة بهن، فأبانوا عن أحوالهن الدينية في كتب مختلفة منها كتاب (الحيض)

(١) مات سنة ٣٦٧. أنظر معجم الأدباء ج ١٨

(٢) أنظر وفيات الأعيان ج ٢

(٣) أنظر أخباره في الصفدي ـ ٢. ق ٣ ـ معجم الأدباء ج ٤

(٤) مات سنة ٢٤٥. أنظر معجم الأدباء ج ١٨

(٥) توفي سنة ٢٨٨. أنظر بغية الوعاة للسيوطي ومعجم الأدباء ج ١٨

(٦) مات سنة ٤٠٠. أنظر ياقوت الجزء الأول

(٧) الفهرست ص ٧٧

(٨) المصدر السابق ص ١٥٠

للقاسم بن سلام (أمام أهل عصره فى كل فن من العلم)[1] كما ذكر ياقوت . وكتاب (العدّة) و (الرضاع) و (الطلاق) و (الشغار)[2] لمحمد بن إدريس الشافعى[3]

٦ — وقد أفردوا التزيّن والتجمّل والتحلّى كتباً كثيرة ، ذلك لأنها أمور ذات شأن عند النساء ؛ فألّف أحمد بن سعد أبو الحسين ، الكاتب الشاعر[4] كتاب (الثياب والحلى) ، وصنف أحمد بن فارس اللغوى[5] كتاباً مثله . وجمع الرقى أصول (الزينة) و (التزيّن) فى كتابين . وألّف إسحاق بن إبرهيم الموصلى وغيره كتباً فى (الرقص والزفن) . ولم يقنعوا بذلك بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك ، فألّف على بن محمد الظاهرى الميكالى الأديب المفاكه[6] كتاب (فخر المشط على المرآة)

٧ — ورأوا أن الظرف أحلى خصائص المرأة ، فألّف محمد بن أحمد أبو الطيب النحوى[7] وكان من أهل الأدب ، كتاب (المتظرفات) . وألّف أحمد بن أبى طاهر أحد البلغاء الشعراء الرواة كتاباً مثله ؛ وصنّف الرقىّ كتاب : (المحبوبات والمكروهات) . وكان للمتجّم الشاعر الشيبى[8] كتاب : (عرائس المجالس) . وكان هذا شاعراً حلواً . قال عنه الثعالبى : (شعره قليل ولكنه كثير الحلاوة) . ثم ألّفوا فيما يجب أن تكون عليه النساء ، وشروط عشرتهن من الرفق والرحمة والقسوة والغلظة ، ومن ذلك كتاب الشافعى فى (عشرة النساء)

٨ — ولم يغفلوا عن حياة النساء الخاصة فى دورهن وسلّتهن بأزواجهن ، فألف الشافعى كتاب (أخلاق الزوجين) ، والمدائنى كتاب (من عجاها زوجها) ، و (من شكت زوجها) ، و (من مُيِّل عنها زوجها) ، و (من قتل عنها زوجها) ، و (من نهيت عن تزويج رجل فتزوجته) . وألف خالد بن طليق الراوية النسابة كتاب (المتزوجات)[1]

٩ — ثم تطرفوا فألفوا فى علاقة الرجل الجنسية بزوجه ... وهذه التآليف وافرة ولا جدوى فى التنويه بها

١٠ — ثم ذهبوا إلى أبعد من هذا فخصوا الشذوذ الجنسى عند المرأة بكتب وتآليف منها : كتاب (السحق) ، وكتاب (البغاء) ، وكتاب (برحان وحباحب) ، وهو فى أخبار النساء والباه ... ألفها محمد بن حسان النملى أحد الكتاب الأدباء فى عهد المعتصم[2] . ومنها كتاب (السحاقات والبغائين) لمحمد بن إسحق الصميرى أبو العنبس[3] وكان أديباً مليحاً ومجاناً لاذعاً

ولقد خصّ ابن النديم مسرداً لأسماء الكتب التى ألّفت فى « الحبائب المتظرفات » كـكتاب « ريحانة وقرنفل » ، وكتاب « رقية وخديجة » ، وكتاب « سكينة والرباب » ، وكتاب « سلمى وسعاد » ... وغيرها[4]

١١ — وكما ألفوا فى أخبار المواقط وذوات الشذوذ ، فقد ألفوا فى الشواعر والنابهات والمواقل ؛ فهناك كتاب « أشعار النساء » لمحمد بن عمران المرزبانى[5] الراوية الإخبارى ، وكتاب « المواقل » لابن الكلبى ... وغير ذلك

١٢ — ولقد عنوا أيضاً بأخبار القينات والجوارى والمغنيات والمسيمعات والنوائح وأمهات الأولاد ، فكتب الجاحظ كتاباً عن (القيان) ، وألف اسحاق بن ابراهيم الموصلى كتاباً مثله . وكان للمدائنى كتاب فى (القينات) ، وآخر فى (المغنيات)

---

(١) مات سنة ٢٢٤ . أنظر ياقوت ج ١٦ ، التذكرة ج ٢ ، الوفيات ج ١

(٢) جاء فى الصحاح : « الشغار بالكسر نكاح كان فى الجاهلية ، وهو أن يقول الرجل لآخر : زوجنى ابنتك أو أختك على أن أزوجك ابنتى أو أختى . . . وفى الحديث (لا شغار فى الاسلام) . . . »

(٣) ولد سنة ١٥٠ مات سنة ٢٠٤

(٤) أنظر أخباره فى ياقوت ج ٣

(٥) مات سنة ٣٦٩هـ . أنظر معجم الأدباء ج ٤ ، نزهة الألباء

(٦) أنظر ياقوت ج ١٤ ، وبغية الوعاة للسيوطى

(٧) مات سنة ٣٢٥ . ياقوت ج ١٧ . نزهة الألباء

(٨) مات سنة ٣٢٧ . ياقوت ج ١٧

(١) فهرست ابن النديم ص ٩٥

(٢) الفهرست ـ معجم الأدباء ج ١٨

(٣) مات سنة ٢٧٥ . الفهرست ـ ياقوت ج١٨

(٤) الفهرست ص ٣٠٧ (طبعة أوربا)

(٥) ولد سنة ٢٩٧ مات سنة ٣٨٤ . أنظر ياقوت ج ١٨

زخرفة المساجد

للأستاذ الشيخ سيد رجب

كان الدكتور زكي مبارك قد كتب في بعض أعداد (الرسالة) الغريبة كلمة من « شجون حديثه » يدعو بها إلى زخرفة المساجد وتنميقها ، ذاهباً إلى أن هذا مما يرفه عن النفس بعد مشاغل العمل ، ويهدئ الخاطر ، ويلهم الروح ، ويرغب في المساجد ، ويعين على العبادة ! وذاهلاً - وهو مؤلف (التصوف الإسلامي) وإن كنا لم نره - عن أن العبادة الحق إنما تنبعث من نبع الإيمان في القلب ، ومن مثابة الهداية في النفس ، وتستلهم الروح لا المادة ، وتتجه بحقيقتها المعنوية إلى السماء لا إلى الأرض . وهذه حقائق لا ينفع لإيجادها ، ولا يغني في التسبب لها ، أن نملأ الأرض - لا المساجد وحدها - بما يقترحه الدكتور من دُمى وتماثيل وتهاويل وتصاوير ! بل إن كل أولئك لن يكون - إن وجد - إلا مشغلة للحس والوجدان والعقل ، وصارفاً للنفس ، في موقفها الرهيب العظيم عما يجب أن تفرغ له من استغراق وتأمل ومناجاة . وهذا بعض ما من أجله صرحت النصوص الدينية بالنهي عن زخرفة المساجد وتنميقها .

ذهل الدكتور عن كل هذا ، وأخذ - وهو الرجل الأزهري رغم صبغته الجديدة - بما لا ينبغي أن يؤخذ مثله به ، ولا أن يغلط في حقيقته ! فلما قام فقيه في المسألة برجعه إلى الصواب ، وإرشاده للحق ، استنكف ذلك وكبر عليه ، وأخذته العزة بنفسه ، فلم يرض لها أن تخطئ ، ولم يرض لها - إن هي أخطأت - أن يردها عن الخطأ ناصح من المسلمين ! والكلمة التي كتبت في الرد عليه بغير توقيع ، وفي عجلة لا شأن للوعظ والوعاظ بها ؛ ولكن هذا لم يكن من مصلحة الدكتور أن يفكر فيه ، وليس من شأنه أن يعرفه ، فإنه عسى أن يقصد عليه ما قصد ، وهو لا يقصد إلا الأزهر والأزهريين

وعلى هذه النية وهذا الأساس هاجم الدكتور الأزهر في أشخاص الوعاظ ، وأقحم ذكرى الرجل الفاضل والمؤمن البار المرحوم الشيخ عبد ربه مفتاح في حديثه ، وعرض نفسه وعلمه وثقافته وفكره الحر الطليق على شباب الأزهر عامة ، وكلية اللغة العربية خاصة ، وسمى الدكتور ذلك كله « زخرفة المساجد » .

بيد أن الدكتور قد عرض في كلمته الأولى ، في « الرسالة » الصادرة بتاريخ (٢٦ من جمادى الآخرة سنة ١٣٦٠) لما تعود هو وأمثاله أن يلوذوا بحصنه كلما حزبهم الأمر في ميدان من ميادين الخلق والعلم والدين ، وهو المناداة بحرية الفكر ، واصطناع

وثالث في (أخبار عزة الميلاء) ، ورابع في (قيان الحجاز) ، وخامس في (قيان مكة)[1] . وكان لأبي الفرج الأصبهاني صاحب الأغاني كتاب في (الإماء الشواعر) ، وللمفجع الشاعر الشيبي كتاب في (أشعار الجواري) ولأحمد بن مطرف القاضي المصري[2] كتاب في (النوائح)

وألف الطبري المحدث الفقيه[3] كتاب أمهات الأولاد ، وألف الشافعي كتاب (عتق أمهات الأولاد)

١٣ - ونضيف إلى ذلك فصولاً كثيرة مبعثرة في كتب الأدب خصت بالنساء وأخبارهن وصفاتهن وأحوالهن ، كالعقد الفريد لابن عبد ربه ، ونهاية الأرب للنويري ، وربيع الأبرار للزمخشري ، وعيون الأخبار لابن قتيبة ، وغير ذلك . . .

* * *

تلك جريدة بأسماء الكتب التي ألفت عن النساء وأحاط بها علمي ؛ ولعل هناك كتباً كثيرة غفلت عنها فلم أذكرها ولم أعلم بها[1]

أفبعد ذلك كله — وإن قل — تقولون إن العرب لم يحفلوا بالنساء ولم يؤلفوا في أخبارهن . . . ؟

(دمشق) صنوع العربية المجيد

(١) الفهرست ص ١٠٢ و ١٤٨

(٢) أنظر أخباره في ياقوت

(٣) أنظر ياقوت . ووفيات الأعيان

(١) لعل من القراء من يذكر لنا كتباً أخرى سهونا عنها ليستفيد أولئك الناس

الصراخ والعويل على ما يحاول رجال الدين الرجعيون الجامدون من حجر على العقل ، وتكبيل للرأى ، ومناوأة لهذه الحرية !!

وتلك ناحية لا نحب أن يخلو حديثنا من الكلام فيها ، إحقاقاً للحق ، وإرشاداً للصواب ، وحرصاً على فائدة من تعوزه هذه الفائدة من القراء

وفى « الرسالة » التالية ، الصادرة بتاريخ (٤ من رجب) عرض الدكتور لحضرة النائب المحترم مقتش الوعظ ، فضيلة الأستاذ الشيخ محمد عبد اللطيف دراز من أجل كلمة ألقاها فى مجلس النواب ، وهذه أيضاً لا نحب أن نتركها حتى نحاسب الدكتور عليها

عبرة الفكر :

يظن بعض الناس أن الحرية هى التحلل من كل حرمة ، والانطلاق من كل قيد ، والخوض ما وسع المرء أن يخوض فى كل ما يستحل خاطره ويستهوى نفسه ! فإن بصّرهم ناصح بالصواب ، أو ذاد عن حقه المعتدَى عليه ذو حق ، هب أولئك الناس فى وجهه ، يدقون طبول الحرب للدفاع عن الحرية المهضومة والفكر المقيد ، جاهلين أن حرية الناس — إلا من العبودية لخالقهم جل جلاله — هى أول عقيدة دعا إليها الرسل والأنبياء ، وأول مبدأ قام من أجله ذلك الصراع الطويل الهائل فى تاريخ البشرية بين الحق والباطل والسماء والأرض . وهل قدس كتاب أو شريعة أو أمة ، ما قدس القرآن الكريم ، والسنة المطهرة ، وسلف الإسلام الصالح ، من هذه الحرية والدفاع عنها وتحقيقها فى النفوس وتقررها بين الناس ؟ ومَن أولى بأن يعرف هذا الكتاب والسنة وسلف الإسلام من أعلام الملة وجنود الدعوة ورجال الدين ؟ !

ولكنها الحرية بمعناها الحق ، وفى هيئتها التى برأها الله على سنته من الوزن والتقدير والإحكام ، ومراعاة العدل والحق فى كل ما يبرأ وما يبدع ، فلا يتجاوز خلق حده ، ولا يخرج عن طوقه ، ولا يطغى شىء على شىء فى وجوده وكنهه ، سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا

هذه الحرية الموزونة المقدرة التى لا تجهل ولا تظلم ولا تطغى ، هى الحرية التى يقرها ناموس الوجود ويعرفها العقل ويدعو إليها الدين ؛ وهى الحرية التى يطلبها الناس ويهيمون بها ويتفانون فى الدفاع عنها ، لأنهم يرون فيها قوام وجودهم وصلاح حياتهم ، وهو بعض ما من أجله أعزها الله ومكن لها تمكيناً ، فجعلها فطرة النفس وصبغة الخلق وحقيقة التوحيد

فهل سمع بهذا أو عرفه من قبل أولئك الذين يكثرون من تصنع الغيرة على الحرية والدفاع عنها ، ليبرروا بها كل مخزاة ، ويدّرعوا بها عند كل طغيان ؟ !

هل علم هؤلاء — وهم لا يقفون الحرية إلا حيث تناوئ الدين والخلق وتقاليد الإسلام — أنهم بهذا يسيئون إليها ولا يحسنون ، ويهدمونها من حيث لا يشعرون ؟ !

إن علماء الدين — يا قوم — لا يمكن أن يكونوا أعداء الحرية ، لأن الحرية من صميم الدين ، ولكنهم أعداء الفوضى وأول هادميها ، وهذا واجبهم الذى لن يتخلوا عنه مهما لاقوا فى سبيله من أذى واعتداء

الرياء الاجتماعى

طالما وصف الدكتور زكى مبارك مخالفيه فى الرأى بهذا الوصف ، وعلى الأخص أثناء مناقضتهم إياه فى مسألة الأغنياء والفقراء ، وأسباب الفقر وأسباب الغنى ، مع أنهم كانوا يستمسكون بحق معروف لم نر لهم فيه مخالفاً من الفراء ، وكان هو يدافع عن شاذ من الرأى لم يوافقه عليه أحد ؛ وقد ظل سادراً حتى أرسل إليه القراء يخيرونه بين اختفائه من الميدان الأدبى ، أو سكوته عن هذا الباطل ؟ فهل يسمح الدكتور أن نستعير منه هذا الوصف لنصف به تصنعه الدفاع عن مصر والإشفاق عليها من تلك النصيحة المخلصة التى أسداها فضيلة الأستاذ الشيخ دراز مقتش الوعظ إلى الأمة والحكومة فى مجلس النواب ؟ !

إننا لا نجد وصفاً أصدق منه لموقفك هذا يا دكتور . أيكون الأستاذ دراز متحاملاً على مصر وطاعناً فيها ، ومقرراً غير الحق حين يقول بلسان العالم المصلح والنائب الغيور ، ناصحاً أمته داعياً إلى الإصلاح فيها : « أصبحت هذه البلاد لا هى بالبلاد

إلى الأستاذ الزيات

محنة التعليم الالزامي

للأستاذ علي عبد الله

كانت كلمتك يا سيدي عن هؤلاء الجنود المجهولين ، نفحة من نفحاتك المباركة ، ونظرة من نظراتك الصادقة ، أنصفت بها هؤلاء المظلومين المكدودين ، وذكرتهم حين لم يذكرهم ذاكر ، وقلت فيهم قالة الحق في وقت يخلت عليهم فيه الوزارة بما يسد الرمق ، وحرمهم الناس حتى من كلمة طيبة ونظرة رحيمة !

وأشهد لقد وجدوا في كلماتك عنهم ورأيك فيهم أحسن الجزاء ؛ وإن لهم فيه لغنية إذا بخلت الوزارة بالجزاء . وقد يجد المظلوم برد الراحة في كلام من يرثي له أو يعطف عليه

وأشد ما أدهشني من كلمتك أنها كانت على إيجازها أصدق وأوفى ما كتب في هذا الموضوع منذ عرفته البلاد إلى اليوم ؛ فصورت العيوب والعلل ، وفرقت بين الجوهر والعرض ، ووازنت بين الماهية والكيفية ، وحددت المسؤولية ووضعتها في موضعها ؛ وعرفت من أمر هذا النوع من التعليم ما لم يعرفه القائمون بأمره ، ولو عرفوا بعض ما عرفت لوجدوا إلى الصواب رسولاً ، ولاتخذوا مع هذا الرسول سبيلاً ...

ومن ألطف ما رأيته أني مررت بمعلم يقرأ على بعض إخوانه ما كتبته (الرسالة) عنهم ؛ ولم يكن يقرأ من المجلة ، وإنما كان يقرأ من ذاكرته ، إذ كان قد حفظ المقال من شدة كلفه به ؛ وما انتهى من القراءة حتى انصرف إلى إخوانه يقول لهم : والله لو لم أكن معلماً إلزامياً لوددت أن أكون ذلك المعلم اليوم ! ولو لم أكن مظلوماً لتمنيت أن أكون مظلوماً ، لأن ما كتبه صاحب الرسالة أشهى عندي وأحب إليّ من أن تنصفني الوزارة أو ينصفني الناس . وإن من الخير لي أن أكون مع هؤلاء المجهولين الذين ذكرتهم الرسالة بالخير ، من أن أكون مع المترفين المجدودين الذين غمرتهم الحكومة بالمال ...

إنك يا سيدي لم تدع لأحد بعد مقالك أن يقول شيئاً ؛ الدينية ، ولا هي بالبلاد اللادينية ، ولا هي بالبلد الشرقي ، ولا هي بالبلد الغربي ؛ وذلك ظاهر في كل مظاهرها ، ليس في الزي فقط ، ولكن في الثقافة والخلق وكل ما يتصل بحياتنا الخلقية والاجتماعية » — ولا يكون الدكتور مرائياً في موقفه حين يرد هذا القول ويماري في الواقع الذي يشهد له ويؤيده ، ويقر الباطل والفساد في الأمة ، متظاهراً بالدفاع المريب عنها ، والإشفاق المصطنع على سمعتها الدينية والأدبية ؟

فهل نأخذ من هذا أن الدكتور يقر ذلك الاختلاف والتناقض في ثقافة الأمة وقوميتها وأصول اجتماعها وتعدد شرائعها وأزيائها ، وغير هذا مما أجمع المتصدون للاصلاح الاجتماعي على أنه شر ما نكبت به البلاد من بلاء يجب دفعه والتخلص منه أم ماذا يريد ؟

* * *

أما بعد ، فإن من أبدى صفحته للحق هلك ، ولقد أراد الدكتور زكي مبارك أن يدفع عن نفسه ما حسبه من بعض الناس عدواناً عليه فلم يستطع هذا إلا بأن يعتدي هو على نفسه مرتين : مرة بمجافاته الحق ، وأخرى بمحاولته النيل من جماعة كبيرة كريمة كعلماء الوعظ والإرشاد ؛ وما منهم إلا يملك ما يملك الدكتور من قلم ولسان . فما أكثر في الناس من يسيء لنفسه حين يريد أن يحسن إليها ، أكان ذلك دفاعاً عن نفسه ، أم كان توريطاً لها في مأزق آخر تكون فيه أكثر ملامة وأثقل حملاً وأشد حاجة للدفاع ؟ وهل صان الدكتور بذلك أنفه الذي قام حامياً له ، أم حقق عليه المثل العربي الحكيم : « رب حام لأنفه وهو جادعه » ؟

نسأل الله أن يجنبنا مزالق الأقلام ، وفتنة اللسان والجنان ، وأن يعصمنا من خطل الرأي وضلال الهوى ، وأن يهدينا بفضله سواء السبيل

السيد رجب
واعظ القاهرة

ولكني أحب أن أؤيد ما ذكرته عن هؤلاء الجنود المكافحين ، بما يدل على أنك كنت ملهماً تستشف الحقائق من وراء أستار الغيب ! !

فمن ذلك أن أولياء الأمر أسرفوا في غبن هؤلاء المعلمين فخفضوا من مرتبهم جنيهاً كاملاً ، وأصبح المعلم الجديد يتقاضى ثلاثة جنيهات بدلاً من أربعة ؛ ثم جعلوا العلاوة الدورية نصف جنيه كل ثلاث سنوات . وزعمت الوزارة بهذا أنها استجابت لرغباتهم وحسّنت حالهم ووضعت لهم نظاماً للعلاوات : مع أن الجنيه الذي استقطع من رواتبهم للأبد أصبح لا ينال إلا بعد قضاء ست سنوات في الكفاح والشقاء ...

وأنا أعرف معلمين قضوا في خدمة هذا التعليم أكثر من خمسة عشر عاما ، ورافقوه وهو طفل في مهده وما تزال مرتباتهم أقل من خمسة جنيهات . وكان هؤلاء لا يعولون إلا أنفسهم ؛ ولكنهم أصبحوا بعد هذه المدة الطويلة في عائلات يزيد أفراد كل منها على العشرة

أقول هذا وأنا أعلم أن في رجال التعليم الأولي من يبلغ مرتبه عشرة جنيهات وخمسة عشر وتسعة عشر ، وعلة ذلك لا ترجع إلى تفاوت في الكفاية أو زيادة في العمل أو امتياز بالأقدمية ؛ وإنما ترجع إلى ارتباك نظام التعليم الأولي وتعدد أنواعه ومدارسه وبرامجه ونظمه . فهناك مدارس أولية تابعة للوزارة ، وأخرى تابعة لسكة الحديد ، وثالثة تابعة لمجالس المديريات ؛ ثم هناك شيء اسمه التعليم الأولي الراقي ، والتعليم الأولي القديم ، ومشروع التعليم الأولي ، ثم التعليم الإلزامي ، ومع أن الجميع يعلمون الأطفال ولا يزيد بعضهم على بعض شيئاً في العمل ، فإن مرتباتهم تختلف كل الاختلاف حسب أسماء المدارس التي يعملون فيها . وقد أجازت الوزارة أخيراً أن ينتقل المعلمون من مدارسهم إلى المدارس الأخرى التي ليست من درجتها ولا من نوعها ، واحتفظت لكل معلم بمرتبه ودرجته ؛ وبذلك أصبح في المدرسة الواحدة من يتقاضى أربعة جنيهات ومن يتقاضى ثمانية . وقد يكون الأول أقدم من الثاني ، كما قد يزيد مرتب المعلم على مرتب الرئيس

ومن غريب الأمور أن الوزارة قد أسرفت في التجني على رجال التعليم الإلزامي ، فأصدرت منشوراً عاماً استبدلت فيه اسم المكاتب بالمدارس ، وحرمت فيه على كل معلم أن يزعم لنفسه أنه مدرس في مدرسة ، وإنما يجب أن يكون معلماً في مكتب علم . والمفهوم من هذا أنها استكثرت على هؤلاء البؤساء حتى الأسماء وتعمدت تحقيرهم ، بينما هي أسلمت إليهم فلذات أكباد الأمة لإعداد الجيل الجديد منها

أما قبل تنفيذ قانون الإلزام ، فقد شقي المعلمون بمحنة لم يسمع بمثلها الناس ، وهي أن المعلمين الإلزاميين كانوا يكلفون بالمرور على بيوت الفلاحين وحقولهم في القرى ، لمطاردة التلاميذ والقبض عليهم وإحضارهم إلى المدارس . . . فمن استطاع أن يملأ فصله فهو في أمن من العقوبة ؛ أما الذي تنهاه كرامته عن التعرض لأذى الفلاحين وعدوانهم فهو مغضوب عليه ، وقد يعرضه هذا للفصل من الخدمة

ومن بواعث الأسى أن أحد مديري الدقهلية الأسبق دخل عليه معلم إلزامي في مظهر أنيق وسمات وسيمة ، يرفع إليه ظلامة من الظلامات ، فظنه الباشا واحداً من الكبراء في البلد ، فأكرمه واحتفى به ، ولكنه عرف في آخر الأمر أنه من الإلزاميين فشتمه وطرده ، وأقسم أن يجرد جميع المعلمين من هذه الملابس التي يظهرون فيها بمظهر أهل النعمة ؛ وبر الباشا بقسمه وساعده مفتشو المعارف اتقاء بطشه !

وصدرت الأوامر إلى جميع قوات البوليس والمباحث والخفر والعمد في البلاد بالتفتيش على المعلمين في المدارس والتبليغ عمن يوجد منهم غير متلبس بعمامة أو لابس قفطاناً ...

ولم يكن للمفتشين من عمل في تلك الأيام إلا التفتيش على الجيب والقفاطين ، لا على التربية والتعليم ؛ وأصبح ليس للمعلم عند الباشا من مؤهلات الترقية وزيادة المرتب ، فليكن يرد لمعلم حاجة

أقول هذا وأنا مشفق من أن أذكر كل ما أعرف ؛ ولو شفيت نفسي بذكر الحقيقة المؤلمة ، لأبكيت الناس وأضحكتهم ؛ وأظهرت لهم أن التعليم الإلزامي إنما شقي بقادته وسادته ، أولئك الذين يعيشون فيه وهم عنه غرباء ، ويلقون المسئولية على المعلمين وهم منها أبرياء

« المنصورة » علي عبد الله

من رسائل الصيف

الدار المقدسة

[مهداة إلى الانسان الشاعر . .]

للأستاذ عبد الحميد يونس

أخي إبراهيم ...

قرأتُ فيما قرأت أن هُناك مرآة مسحورة لا ترى فيها نفسك في لحظة من لحظات حاضرك أو فترة من فترات مستقبلك ، ولكنك تشاهد فيها شخصك في برهة واحدة تختارها من ماضيك

وأنا الآن أتمنى كالأطفال أن أحصل على هذه المرآة ، وأن أركب في هذا السبيل ما يركب أبطال الأساطير من أهوال ، فإن عبور البحر أهون من عبور الزمن إلى الوراء ، وملاقاة المجهول آلم من ملاقاة المعلوم ، واستعادة الذي كان معك ثم ضاع ، أشهى من حصولك على ما لا ترتقبه مما هو آت !...

ودعني أسائل نفسي وقد تحققت أمنية العثور على هذه المرآة « أي لحظة من لحظات ماضيّ أريد ؟ » ... هي هذه الومضة من ومضات صباي وقد ذهبت إلى بيتنا الجديد ، فلم أنظر إليه إلا بعد أن تعليت من البناء المواجه له ذي النوافذ الشبيهة بنوافذ المساجد ، وكنت أعلم أنه مقام صاحب النظرات والعبرات[1]

هذه الدار أيها الصديق أنفقت ما يقرب من خُمس قرن خلتُ فيها صباي وسلختُ شبابي ؛ دخلتها تسابقني آمال عذاب ، وخرجت منها بذكريات أعذب !

وما أظنك نسيت البرج الذي كان يشبه أبراج المنائر حيث كنت أبشر بالطريقة الإشراقية التي تعلو على الناس وإن لم تنفصل عنهم ؛ وحيث خيّلت إلى نفسي القدرة على مطاردة الأوهام والوساوس والكشف عن الترهات والأباطيل ؛ وحيث ظننتني أستطيع هداية الضالين ، ولو كانوا من الفرسان والمهريين ؛

وحيث رأيتني أحارب إله الظلام ، فلا أكاد أصرعه حتى أراه يتسلل من الناحية الأخرى !

أو نسيت الغرفة الجرداء التي كنت أستقبل فيها وفود السكر زمراً تعقبها زمر ، وأفراداً في إثر أفراد ، والتي كنت أمثل فيها خاشعاً بين يدي الأنبياء والأولياء والقديسين ! وكيف تنساها وقد وسعت جمهورية أفلاطون وطوبى مور وجزيرة مكدوجال !

أما المقصورة ، فأنت لا تذكرها ، لأنها كانت المكان الحرام الذي مارست فيه فن الحياة ، ومهدت القصائد التي عجت بها نفسي ولم تنفرج عنها شفتاي أو يسجلها قلمي ... وجمعت فيها بين الملائكة والشياطين ، ولقيت فيها «ليليت» وبناتها ، وتاييس في انطلاقها وفي توبتها ، وأفروديت في خلابتها ؛ وسمعت فيها أعذب التنهدات وأشهى الضحكات وأعمق الزفرات ... ! هنا ، أيها الصديق ، عجمت تجاربي ، واختزنت ذكرياتي ، وحبست أوهامي ... ! هنا أديت فرائض الشاعر وشعائر الحكيم !

* * *

والخزانة الصغيرة التي كانت وكأنها « باب جحا » لا تكاد تطلب منها شيئاً حتى تراه ؟ ... الخزانة الصغيرة النفيسة التي لم يكن خادمها موكلا بغذاء البطون ، وإنما كان مختصاً بغذاء العقول والقلوب ؟ ... لقد أخذتها معي ، فبطل السحر ، وبقيت الصحائف والرفوف !

وأنت ألم تجلس معي تحت هذا المصباح ؟ أنا موجود وأنت موجود ، والمصباح كذلك موجود ؛ ولكن « التغير » صيرني شخصاً آخر ، وحولك إلى غيرك ، ونور المصباح في عيوننا الآن ليس كما كان بالأمس !

واليوم أتطلع من هذه الدار المقدسة اقتلاعاً ، فكم رددت جدرانها صلواتي ، وسمعت ابتهالاتي ، ووعت حكمتي ، وحفظت قصائدي ! وكم انشقت سقوفها عن طيف ، وانفرجت نوافذها عن خيال ، وانفتحت أبوابها حتى لعدو !

ألا قل لهذه الدار المقدسة ألا تبوح بأسرار وجداني إلا لصاحب وجدان ، وألا تطلع أحداً على خزائن تجاربي إلا إذا كان من زمرة الإشراقيين ، وألا تفتح كنوز ذكرياتي إلا لمن يصلح للقيام على البرج والمقصورة والمحراب !

(١) يقصد بيت المرحوم السيد مصطفى لطفي المنفلوطي .

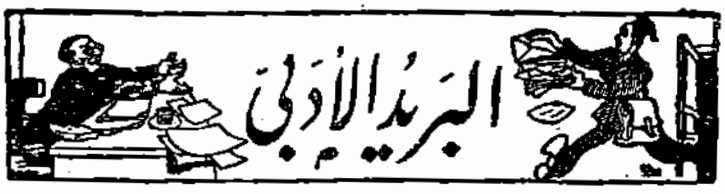

الشيخ عباس

أويت إلى مرقدى حين الظهيرة فلمحت العدد الأخير من مجلة الرسالة فأخذته آنس بمطالعة عناوينه إلى أن يُريح عليّ النوم راحتي وجاى ، ووقع بصرى على حديث أخى الدكتور زكى ذى الشجون والأشجان فسارعت إلى الفصل الذى عنوانه : (الشيخ عباس الجمل) أرجو أن أطلع فيه على بشرى أو فكاهة أو دعابة فقرأت ماروّعنى وأفزعنى وعذب بسرورى وراحتى وأقض مضجعى

قرأت قول الدكتور وهو ينعى على أدباء مصر تجافيهم : (فجع الشيخ عباس الجمل بغرق ابنه طاهر وهو يقارع أمواج البحر فى دمياط فما تحركت يراعة أديب لمواساته فى ذلك الرزء الجليل)

(وبترت ساق الشيخ عباس منذ أسابيع فما بكى شاعر ولا تأثر كاتب لمصيبة الأديب) الخ

ألا قل لهذه الدار المقدسة إننى ما غادرتها قالياً ، ولا تركتها راضياً ، وإننى كلما مررت بها سأقف وأستوقف ، وكلما ذكرتها سأبكى وأستبكى ؛ وإننى — لولا التجمل — لفعلت ساعة الرحيل ما يفعل المجاور فى الأضرحة ، فقبلت المقابض والجدران !

وهكذا ترانى أيها الأخ إذا حصلت على تلك المرآة لا أقنع من ماضى بلحظة واحدة ، وإنما أريده كله لا أنقص منه حتى ساعات الألم !

بل وهكذا ترانى إذا حصلت على هذه المرآة وتحققت رغبتى فرأيت ماضى كله لا أقنع بالمشاهدة والنظر ، فالفرق بينك وبين صورتك كبير ، والفرق بين تذكرك لماضيك وبين أن تعيش ماضيك أكبر وأكبر ...

« طبق الأصل » « حسدي »

عبد الحميد يونس

فأما المصيبة الأولى فقد عرفتها من قبل وراعنى نبؤها وأنا فى اسطنبول منذ أربع سنين ؛ وأما المصيبة الأخيرة فما عرفت نبأها الفاجع إلا من كلام الدكتور زكى وقد وقعت من نفسى وقلبى موقعاً مفظعاً أليماً

وإذا بى أجلس واجماً تسير بى الفكر فى عالم من مصائب الماضى والحاضر ، وتسرح بىَ الفكر فيما أصاب الرجال الكبار من أحداث وأرزاء ، فذكرت فيما ذكرت عقبة بن أبى وقاص حينما قطعت رجله فى الموقعة يوم صفين فلبث يقاتل مرتجزاً :

الفعل يحمى شوكه معقولاً

وتذكرت هذا الفارس العربى عبد الله بن شبرة الجرشىّ وكانت يده قطعت فى موقعة فلطاس إحدى وقائع الروم فقال يرثيها فى أبيات أولها :

ويل أم جار غداة الروع فارقنى أمسى عليّ به إذ بان فانقطعا

يمنى يدىّ غدت منى مفارقة لم أستطع يوم فلطاس لها تبعا

ثم إذا بى أسير إلى خزانة كتبى ألتمس عروة بن الزبير لأقرأ ما قال حين أصيب برجله ، وأتأسى بما عزاه به أصحابه ، وذكرت قول أحد المعزين له : (يا أبا محمد والله ما أعدمناك للصراع ولا للسباق، ولقد أبقى الله لنا أكثرك : عقلك وعلمك) وطلبت بقية هذا الكلام فى مظانه فلم أهتد إليه ، ولكنى وجدت فى ابن خلكان خبر عروة حين صبر لقطع رجله لا يتحرك ولا يتأوه ووجدت فيه هذه الكلمة :

وكان أحسن من عزاه إبرهيم بن محمد بن طلحة فقال له : « والله ما بك حاجة إلى المشى ولا أرب فى السعى ، وقد تقدمك عضو من أعضائك وابن من أبنائك إلى الجنة ؛ وقد أبقى الله لنا منك ما كنا إليه فقراء ، وعنه غير أغنياء ، من علمك ورأيك . نفعك الله وإيانا به . والله ولى ثوابك ، والضمين بحسابك »

يا أخانا العباس ! إن لك فى أرزاء الرجال وخطوب الزمان أسوة وعبرة ؛ وإن لك من دينك وعقلك وعلمك ما ينبغى أن تساق إليك الأسى والمواعظ . وإنا لنعرفك كبيراً أبياً عزيزاً ، وإنا لنرجو أن نجدك اليوم أكبر وأبى وأعز من

أن يضعضعك خطب ، أو يبهظك رزء . وإنك لتعلم أن الحر الأبي يسير في هذه الحياة صابراً على لأوائها ، مستكبراً على أرزائها مشي الجمل الثقال بالحمل الثقيل لا يرزح ولا يرزم ولا يسيء ولا يقف دون غايته

يا أخانا العباس ! إن لك من دينك وعقلك وعلمك وأدبك ما يؤنسك بالصبر والرضا ، ويوطن نفسك للحادثة وإن جلت ، والخطب وإن فدح ، وإن لك من إيمانك وشيمك ما يربأ بك أن تضيق بالرزء الشديد ، وتطأطئ للنازلة الجليلة

والله يجعل هذا آخر محنك ، ونهاية بلائك ويبقيك لآلك وإخوانك موفور العقل والعلم ، معاق في نفسك وبدنك وأسرتك

وأما الأخ الدكتور زكي فقد صدق حين نعى على الإخوان تقاطعهم وغفلة بعضهم عن بعض . وإنّا يا أخي زكي — ولا تؤاخذني بهذا التشبيه — لنسير من مشاغل هذه الحياة جليلها وسفسافها في مثل طريق الساقية أو مدار الساقية : حركة دائبة في مضطرب متشابه ضيق ، لو سارت فيه الحياة أبد الدهر ما خرجت منه وإن توهمت — وهي محجوبة العينين — أنها أبعدت المسير ، وتناءى ما بين مبدئها ومنتهاها . ولست أدري إلام تشغلنا الشواغل عما هو أعظم من التقاء أخ بأخ ، وتفقد صديق صديقاً ، ومذاكرة أديب مثله ؛ وفي أولئك من قضاء الحق ومتعة النفس وريح العقل وفقه الأمور ، ما لا نجده وإن حرصنا في هذه الحركة العاجلة التي كادت تسلب الإنسان عقله وإرادته .

عبد الوهاب عزام

صول اللهجات العامية

يقصد علماء اللغة بكلمة « اللهجات المصرية » ما يشمل اللهجات العربية المستخدمة في السودان ، فليس السودان جزءاً لا يتجزأ من مصر في نظر علماء الجغرافيا وأساطين القانون وعدول السياسة فحسب ، بل هو كذلك أيضاً في نظر علماء اللغات

ولذلك لم أر ضرورة لأن أخصه بالذكر في مقالي عن طوائف اللهجات العامية ، بل رأيت أن أطلقه على مصر ، كما يفعل المربيون ، قد يسيء إلى الحقيقة فيشعر بأنه بلد آخر منفصل عنها

فليفرخ إذن روع الأستاذ أحمد المبارك عيسى[1] . فما كان لمثلي ، وأنا من مواليد السودان ومن أكثر الناس إيماناً بوحدة وادي النيل ، أن أغفل أمر هذا البلد الأمين

وإنا لنرتقب بذاهب الصبر أن تواتي الظروف حضرة الأستاذ المبارك فيتحفنا على صفحات « الرسالة » بما وعد به من مختارات في الأدب القومي للسودان ، ويزيدنا بذلك يقيناً أن اللهجات المصرية كافة من أقرب اللهجات العامية إلى العربية الفصحى .

* * *

أشكر للأستاذ جودة مرعشلي بدمشق تصحيحه لما ورد سهواً في مقالي بصدد أسماء بعض القرى السورية التي لا يزال أهلها يتكلمون بلهجة منحدرة من الآرامية الغربية .

علي عبد الرءوف رافي

هل نستفيد مما نقرأ ؟

المعروف في اللغة أن فعولا بمعنى فاعل مما يستوي فيه المذكر والمؤنث ، وأن ما يستوي فيه المذكر والمؤنث لا يجمع جمع مذكر سالماً مثل : صبور وشكور وغيور

وأذكر أني قرأت مقالاً منذ شهور للكاتب الكبير الأستاذ العقاد بالرسالة جمع فيه غيوراً على غيورين ، وهو خطأ كما ترى .

ثم حدث أن الأستاذ السباعي بيومي جمع شكوراً على شكورين في مقال له بالعدد ٤٠١ من الرسالة رداً على الدكتور زكي مبارك فتنبه أحد القراء لهذه الغلطة وأشار إليها في الرسالة بعد ذلك .

وحدث أيضاً أن الأديب طه الساكت كتب منذ أسابيع كلمة مسهبة في الرسالة عن هذه القاعدة ، وذكر الشواهد لها ، ودعا الكتاب إلى مراعاتها

وأخيراً رأينا الأستاذ العقاد يقول في العدد ٤١١ من الرسالة : « فإن الشك في وجود المفاداة يغلق المسالك بين ألسنة المصلحين الغيورين »

(١) انظر كلمته بعدد ٤٢٣ ص ١٩٣

ولا شك أن إصرار الأستاذ الكبير العقاد على هذا الجمع لهذه الكلمة — وهو عضو بمجمعنا اللغوي — يدلنا على أن له رأياً فيها يخالف ما أجمع عليه نحاة البصرة

فهل يتفضل الأستاذ ببيان رأيه على صفحات الرسالة فنكون من الشاكرين ؟

« بني سويف » محمد محمود رضوان
المدرس بالمدرسة النموذجية

فتوى واستفتاء

١ — تحت هذا العنوان في عدد « الرسالة » ٣١٨ أفتيت واستفتيت الأدباء والباحثين في بعض المباحث الأدبية، وعرضت لهم ما بين روايتي الوسيط والمفصل من التناقض في ترجمة ابن خلكان، ثم استبان لي صواب رواية الوسيط ومنشأ خطأ المفصل على الرغم من أني كنت أستبعد أن يقع مؤلفوه الأماثل في مثل هذا الخطأ ؛ وإليك القراء البيان :

قال ابن خلكان نفسه : ومولدي يوم الخميس بعد صلاة العصر حادي عشر شهر ربيع الآخر سنة ثمان وستمائة بمدينة إربل بمدرسة سلطانها الملك المعظم مظفر الدين بن زين الدين رحمهما الله[1]

وقال هو نفسه في ترجمة أبي الفضل أحمد بن كمال الدين : وتولى التدريس بمدرسة الملك المعظم بعد والدي رحمه الله تعالى، وكان وصوله إليها من الموصل في أوائل شوال سنة عشرة وستمائة ؛ وكانت وفاة الوالد ليلة الإثنين الثاني والعشرين من شعبان من السنة المذكورة، وكنت أحضر درسه وأنا صغير، وما سمحت أحداً يلقي الدروس مثله[2]

ومن هذا يظهر جلياً أنه أخذ مبادئ العلم عن شيخه أبي الفضل، لا عن والده كما قال أصحاب المفصل، ومنشأ الخطأ أنهم رجعوا[3] ضمير « درسه » إلى الوالد وغفلوا عن المترجم له وحق لمن استفتى ثم أفتى بعد عمر[4] أن يقول : بيدي لا بيد عمرو

(١) ترجمة المؤلف للعلامة نصر الهوريني ص ٤٢١ ج ٢ وفيات
(٢) ص ٣٢ ج ١ وفيات
(٣) رجعه أنصع من أرجعه ولم تأت في التنزيل كذلك
(٤) زمن طويل

٢ — نقرأ في كتب السيرة أن النبي صلى الله عليه وسلم خصائص ؛ ونطالع في كتب الأدب كثيراً من خصائص اللغة العربية ؛ ونسمع بكتاب الخصائص لابن جني — وإن لم يره إلا قليل — فما مقرد هذا الجمع ؟ أمرضتني كتب اللغة ، ولم تسعفني ، ثم رأيت أقرب الموارد يقول : « والخاصة التي تخصه لنفسك ... والخاصيّة نسبة إلى الخاصة ج خاصيات وخصائص على غير القياس » ، وفي أثناء مطالعتي في « المواهب اللدنية » ألفيته يقول : « وقد ذكر بعض العلماء أنه صلى الله عليه وسلم أوتي ثلاثة آلاف معجزة وخصيصيّة[1] » فما قول السيد وحيد ؛ والأستاذ الكبير (ا . ع) ؟

٣ — نبه كثير من الباحثين على[2] خطأ الافتعال من قَطَف وعابوا « المقتطف » علماً على المجلة المعروفة ؛ فما رأيهم في قصيدة النابغة الشيباني الفائيّة وفيها يقول :

تَسبي القلوب بوجه لا كفاء له كالبدر تم جمالاً حين ينتصف
تحت الخمار لها جِثْل تُمكّنه مثل المناكيل[3] سوداً حين تقتطف[4]

وبعد فكثير من مفردات اللغة العربية حائر بين المخطئين والمصوّبين ، فهل يضع المجمع اللغوي الملكي حداً لهذه الفوضى ؟

طه محمد الساكت
المدرس بمعهد القاهرة

حول استدراك في غزوة حنين

ذكر الأستاذ الفاضل سعيد الأفغاني في العدد (٤٢٢) من مجلة الرسالة الغراء استدراكاً على مقالي الأول في غزوة حنين ؛ وقد جاء فيه أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه هو الذي سئل عن الخوارج : « أكفار هم » ؟ فقال : « من الكفر فروا » . قيل : « أمنافقون هم » ؟ فقال : « إن المنافقين لا يذكرون الله

(١) ص ٢٠٦ ج ٥ شرح المواهب الزرقاني
(٢) نبه على الشيء وقفه ا . هـ مختار وإنما نبهت عليها لأن مصحح الرسالة استبدل بعلى إلى كلمتي السابقه
(٣) الشكول النخلة كالعنقود الكرم
(٤) ديوان نابغة بني شيبان ص ١٢٦ ط دار الكتب .

إلا قليلاً ، وهؤلاء يذكرون الله كثيراً » . قيل : « فما هم » ؟ قال : « فتنة غشيتهم »

وكنت أحب أن يذكر الأستاذ سعيد الأفغاني المصدر الذي نسب فيه ذلك إلى علي بن أبي طالب ، لأن هذا قد يفيد في تحقيق نسبة ذلك القول إلى النبي صلى الله عليه وسلم كما ذكرت ، أو إلى علي بن أبي طالب كما ذكر هو ؛ فأما المصدر الذي نقلت عنه نسبة ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فهو كتاب إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون المعروف بالسيرة الحلبية ، وهو تأليف نور الدين علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي القاهري الشافعي المتوفى سنة ١٠٤٤ هـ . وقد جاء ذلك في الجزء الثالث (ص ١٤٠) من النسخة المطبوعة بمطبعة محمد علي صبيح بمصر

ولا شك أن صدور ذلك القول من النبي صلى الله عليه وسلم لا يمنع صدوره بعده من علي بن أبي طالب ، والقطع بالصواب في مثل ذلك كما قطع الأستاذ سعيد الأفغاني لا ضرورة إليه ، لأن صدوره محتمل من النبي صلى الله عليه وسلم ؛ وليس هناك ما يمنع صحة نسبته إليه على سبيل القطع

عبد المتعال الصعيدي

القصر العيني

في العدد (٤١٨) من الرسالة الغراء ذكر الأستاذ طه الساكت خطأ الكثيرين في تسمية ابن قيم الجوزية ثم قال : « وقريب من هذا الخطأ — وإن تكلف بعض الكتاب تصحيحه — قولهم (القصر العيني) ، وإنما هو قصر العيني بالإضافة إلى الأمير الشهابي أحمد بن عبد الرحيم بن البدر العيني نسبة إلى (عين تاب) على ثلاث مراحل من حلب » اهـ .

والواقع أنني كتبت في العلم الماضي عن هذا التصحيح في مجلتي « منبر الشرق » و « الصباح » الغراوين ، ولكني عدتُ فوجدت أن قولهم « القصر العيني » صحيح لا غبار عليه ولا تكلف فيه ، وذلك لأن قولنا « قصر العيني » من باب الإضافة ، وقولنا « القصر العيني » من باب النسب ، والصلة وثيقة بين الإضافة والنسب ، حتى لقد كتب الشيخ (الأشموني) في كتابه عنوانَ (النسب) ثم قال : « هذا هو الأعرف في ترجمة هذا الباب ، ويُسمى أيضاً باب الإضافة ، وقد سمّاه سيبويه بالنسبتين ... » .

فقل « قصر العيني » وقل « القصر العيني » ، ولا تضيّق على نفسك ، فلغة الضاد أفسح مجالاً وأرحب صدراً ، ولنا في لهجاتها وروايتها وأقوال أهلها متسع ومستزاد !

« البجلات »

أحمد الشرباصي

اضمحلال القوى ان الأعصاب المحطمة تسبب الكآبة وانقباض النفس وتلاشي نشاط الرجولة قبل الأوان « سر صحة الشعوب سلامة أعصابها » ولكن بعد اجراء ابحاث علمية مستفيضة مدى عدة سنين ، نجح جناب العالم الاخصائي في المسائل التناسلية الدكتور ماجنوس لهير شفلد في ايجاد وسيلة فعالة لمكافحة هذا المرض وبعد الاختبار والتجربة الكافية يقدم للجمهور مستحضر : لؤلؤ فيطس والقوال مستحضر علمي يحتوي بكيفية مضمونة على الهرمون الحقيقي لتجديد الشباب بحالة ثابتة متعادلة ويعمل دائما تحت رقابة المعهد الرسمي للتناسليات بمدينة برلين . اقرأ الكتيب العلمي « الحياة الجديدة » فهو يعلمك كثيرا من الأمور التي قد تجهلها الى الآن عن الحياة التناسلية وترسل النسخة الانجليزية او الفرنسية مجانا برسوم ذات خمسة الوان نظير ٥ قروش عربية ٣ جالا نهور مين ، صندوق بوستة ٢١٠٥ بمصر

اقتنع ... زيارة الحاسة | قابلة للنقل ، بواسطة الصانع العلمي الحديث النافذ الكشف العاملة ماجنوس لهير شفلد

مجانا ارسل قطع هذا الكوبون وارسله الى صندوق بوستة ٢١٠٥ بمصر مرفقا طابع بخمسة مليمات فترسل لك نسخة مجانا من كتاب الحياة الجديدة

(س . ت ٥٢٢٧)

مفترق الطـــرق

للأستاذ نجيب محفوظ

زماننا عاثر الحظ أو نحن به عاثرو الحظ . فأينما تول وجهك تسمع تنهد شكوى أو تر تجهم كدر . ولن تعدم قائلاً يقول إن هـذا الزمان أضيق رزقاً وأنضب حياء وأفسد خلقاً وأقل سعادة وأنساً من الزمان المـاضي ، ويجوز أن نكون لزماننا ظالمين ، وأننا نتحامل عليه لا لعيب اختص به دون غيره من الأزمنة ، ولـكني تبرماً بقساوة الحياة وفراراً من جفاف الواقع ولياذاً بظلام الماضي الذي يشبه ظلام المستقبل بعث أمل وطب آلام . ومهما يكن من أمر هذا الضغط فما من شك في أن جلال أفندي رغيب كان على حق في شكواه التي يرددها بغير انقطاع . كان مراجع حسابات في وزارة المعارف وفي السادسة والأربعين من عمره ، قد وسع الله له في إحدى زينتي الحياة الدنيا وقتر عليه في الأخرى ، فرزق ستة أبناء يسعون ما بين حجر الأم والسنة الرابعة الثانوية . وأما مرتبه فسبعة عشر جنيهاً ، فناء بأثقال العيش ومتاعب الحياة ، وتصعدت ظهره المصاريف المدرسية . وكان كثيراً ما يقول متبرماً حانقاً كلما آن موعد قسط أو اقترب موسم من المواسم : « رجل مثلي — أب لستة ذكور ، اثنين في المدرسة الثانوية ، واثنين في المدرسة الإبتدائية ، وواحد في المدرسة الأولية ، وواحد في البيت ، غير زوجة وأم ، ولا تراه الوزارة حقيقاً بإعفاء واحد من أبنائه من المصاريف ... فتى إذاً تجوز الجائبة ! ... ولمن تجوز ؟ » . وكان كمثالبية أهل هذا البلد يائساً من العدالة قانطاً من الخير ، يعتقد اعتقاداً كالإيمان الراسخ أنهما لا يصيبان إلا المجدودين من ذوي القربى والأصهار والأصدقاء ، فرأى أن ليس أمامه سوى الكفاح الشاق ، ومعاناة الشدة عاماً بعد عام ، والتصبر على مرارة الحياة ولبث على حاله لا يطمع في رجاء حتى تولى وزارة المعارف معالي حامد بك شامل ، فطرق أذنيه اسم الوزير الجديد ، وجذبت عينيه صورته المنشورة في الصحف ، فومض في أفقه المظلم بارق أمل جديد ، وانتعشت نفسه برجاء لا عهد له به ، وقال لنفسه : « ينبغي أن أقابله ... وأن أشكو إليه ... هل يرفض رجائي ؟ ... لا أظن » ، وقصد يوماً إلى سكرتير الوزير وكتب حاجته على رقعة ليوصلها إليه ، فمضى الشاب بها وتركه في حالة من القلق والإشفاق لا توصف ؛ وعاد مسرعاً يقول لجلال افندي : « معالي الباشا مشغول جداً اليوم فتفضل بالمجيء نحي الغد » ، فعاد إلى حجرته مسرعاً واجداً متألماً ، وكان ألف طوال مدة خدمته خيلاء الرؤساء وانتهار المديرين ، ولـكن انشغال الوزير آله أكثر من أي شيء ، وجعل يتساءل : ترى هل يذكرني ؟ ... ولم يكن شيء ليصده عن هذا الباب ، فذهب نحي الغد كما قال له السكرتير وانتظر طويلاً حتى قال له الشاب : « تفضل » ، فقام مسرعاً خافق الفؤاد ، وفتح له الباب المحروس فاجتازه إلى الحجرة ذات السجاجيد والزخارف ، ونظر إلى صدر المكان فرأى معالي الباشا كما يدعونه يطالع في شيء بين يديه ، فلما أن شعر بوجوده رفع إليه عينيه ومد له يده وعلى فمه شبه ابتسامة وقال :

— أهو أنت ! ... لقد اشتبه على الإسم ... أو ما تزال حياً ؟

فسر جلال للمداعبة الأخيرة واطمأنت نفسه وقال بخضوع وإجلال :

— نعم يا صاحب المعالي ما أزال أكابد حتى في الدنيا —

فنظر إليه نظرة استفهام ، ومال إلى الوراء قليلاً وهو يتمتم : « أفندم » ، فقال جلال :

— يا معـالي الباشا قصدت إلى معاليك لأشكو إليك ما أشكوه من عنت الدهر وشقاء الأيام . لي أسرة كبيرة وأبناء كثيرون ومرتبي صغير ، ولست ظالماً في علاوة أو درجة ، ولـكني أضرع إلى معاليكم أن تعفي ابنين لي في مدرسة شبرا الثانوية من المصروفات

— الاثنين معاً ؟ !

— نعم يا معالي الوزير ؛ إن آمالي مشرقة بمعاليكم ، لقد جاورت معاليكم عهداً طويلاً من سني الدراسة ، وينبغي لمن حظي بذلك الجوار أن يربو حظه على حظوظ الناس جميعاً ، خاصة إذا علم أن لي غيرها أربعة آخرين ، فقال له الوزير باقتضاب :

— قدم لي مذكرة

وكان الرجل محتاطاً لذلك ، فأخرج من جيبه التماساً أعده لهذه الساعة وقدمه إلى الوزير ، فجرت عليه عيناه بسرعة ، ثم أمسك قلمه ووقع عليه بكلمة ، وقال للرجل :

— اطمئن ...

فانحنى جلال أفندي تحية ، فتكرم الآخر بمد يده له ، ثم غادر الحجرة منتبطاً مثلج الصدر . ولكنه ما كاد يعود إلى مكتبه بالوزارة ، حتى قال لنفسه متعجباً : لم يتغير « حامد شامل » ألبتة ، ولا تقدم به العمر ، وكأنه في ريعان الشباب ... هل يصدق إنسان أن كلينا ابن خمس وأربعين ؟ ... تالله إني لأبدو لعين الناظر في سن والده ! . . . وقضى وقته يفكر في الوزير ، في حاضره وماضيه ، وفي صلته القديمة به ... ثم اضطجع بعد تناول غدائه في بيته ، وأشعل سيجارة ، واستسلم إلى أحلام الذكريات ... فآلوت به إلى عهود الماضي المنطوي ... إلى الوقت الذي كان يجلس فيه إلى يسار التلميذ « حامد شامل » على مقعد واحد ، لا يكاد يفرق بينهما فارق جوهري ... وكان التلميذ « حامد شامل » يلفت الأنظار إليه ببياض بشرته واحمرار شعره ، وبملازمة عبد متهدم طويل يرتدي بذلة سوداء له في الطريق إلى المدرسة وفي طريق العودة ، يتبعه كالظل إذا مشى ، ويطمئن إلى مكانه إلى جانب حوذي العربة إذا ركب ، وذلك كان يحلو لرفاقه أن يداعبوه فيدعوه « حامد أغا » ، على أنه عجب غاية العجب كيف كانت المنافسة تحتد بينه وبين وزير اليوم وتلميذ الأمس كأنهما أخوا حظ واحد ... والأعجب من هذا أنهما جريا معاً وراء تلك العاطفة — التي تهيج الجد والنشاط ولا تتسامى عن المرارة والألم — منذ أول عهد تجاورهما ؛ وكانا في كفاحهما كأنهما يعيشان منفردين في فصل واحد ، فكانت الغاية التي يهدف إليها كل منهما أن يتفوق على قرينه بغير مبالاة الآخرين . وعلى الرغم من استعانة حامد بالدروس الخصوصية يتلقاها على أنيه مدرسي المدرسة ، فقد كانت الغلبة بينهما سجالاً ، وكانت كفة جلال الراجحة ... وكانا في ملعب كرة القدم مثلهما في الفصل لا يربحان ولا يستريحان . وكان كلاهما يزعم أنه أحق من صاحبه بقلب الدفاع . فكان مدرس الألعاب يعاقب بينهما فيه ، حتى بدا تفوق جلال للجميع فاستأثر به ، فكان آخر عهد الآخر بلعب الكرة . يا لله ! . . . كانا يستبقان كأنما الدنيا تضيق عنهما معاً ، وكأنما كان مستقبلهما ينذر بحرب مستعرة تشمل ميادينها الجد واللعب والإدارة والوزارة . فكيف شالت كفته بعد ذلك ؟ ؟ كيف سقط من عيون الغربال وضاع في الحثالة ؟ . . . كيف صار رقيقا القعد الواحد أحدهما وزيراً والآخر مراجعاً بالحسابات ينوء صدره بآلام الحاضر ووساوس المستقبل !

ثم تمتم قائلاً وهو يطفئ سيجارته ويرمي بالعقب إلى المنفضة : تالله ما يستحق أن يكون وزيراً ولا وكيل وزارة ولا شيئاً من هذا ، وخشي أن يكون متجنياً عليه أو مائلاً مع عواطفه القديمة فتساءل باهتمام وجد كأنما يزمع كتابة ترجمة له كيف اعتلى كرسي الوزارة ؟ ... لقد انفصلا في نهاية الدراسة الثانوية فاضطر هو لأسباب إذا ذكرها جرت المرارة في فمه ، إلى الانقطاع عن الدراسة والتحق صاحبه بمدرسة الحقوق ، ثم حصل على الليسانس ، وكان أبوه محمد باشا شامل وزيراً للحقانية فعينه سكرتيراً له في الدرجة الخامسة ، فكانت القفزة الموفقة الأولى . وقرأ بعد ذلك في الصحف أنه اختير لبعثة في فرنسا لا يعلم كم أمضى بها ولا ما حصل عليه فيها من الإجازات ، ولكن كثيرين يعلمون زواجه بعد ذلك بسنوات من كريمة المرحوم حامد باشا حامد الذي تولى الوزارة مرات ، فارتقى فجأة إلى الدرجة الثالثة مديراً لإدارة التشريع ، وانقطعت عنه أخباره فترة وجيزة حتى علم بتوليته مديرية أسوان ، ثم بترقيته محافظاً للقنال بعد ذلك بقليل ، ثم باختياره وزيراً للمعارف ، ومضى على توليته الوزارة أسابيع والمجلات لا تكف عن الإشادة بمواهبه القانونية ومقدرته الإدارية

ومشروعاته عن إصلاح التعليم ، وكاد جلال افندى أن يصدق ما يقال لولا أنه قرأ مقالاً عن تفوق الوزير فى عهد الدراسة — فى العلم والرياضة البدنية معاً — وكيف أن مفتشاً من مفتشى الوزارة تنبأ له على أثر مناقشته بأنه سيكون يوماً وزيراً ، فأغرق الرجل فى الضحك ، وقال ساخراً : « الآن فهمت سر المواهب القانونية والإدارية ! »

وتنهد جلال افندى رغيب وتمتم قائلاً : « دنيا ! » ، وأراد أن يريح نفسه من أفكاره فتناول مجلة يقلب صفحاتها للصورة ؛ والظاهر أن ذكريات الوزير كانت تأبى أن تفارقه ، فرأى صفحة من المجلة مخصصة للوزير تتوسطها صورة كبيرة ؛ ما إن بصر بها حتى صاح فى دهشة وغرابة : «رباه هذه صورة فصلنا القديم» وألقى عليها نظرة مريبة فثبت بصره على صورته وكان يقف فى الصف الأول وراء المدرسين مباشرة إلى يمين الوزير ينظر إلى عدسة المصور فى ابتسام وثقة ؛ وكان الوزير كالمابس وعلى حاجبه الأيمن ذبابة ، فضحك جلال طويلاً وذكر قصة الذبابة ، وقد كانت فى الأصل من نصيبه هو وتنبه لها والمصور يهم بالتقاط الصورة فهشها بسرعة فطارت عنه إلى حاجب قرينه وحطت عليه ؛ وقد أحس أسفاً لذبة الذبابة فلعلها كانت ذبابة الحظ السعيد سكنت إلى وجه الوزير المدخر ؛ ورنا إلى الصورة بعينين حالمتين فهامت روحه فى آفاق الماضى حتى شعر بأن روح الطفولة تحل فيه مرة أخرى ، وأن شعيرات قذاله البيضاء تسود ، وتجاعيد جبينه وما حول فمه تلين ، ونظرة عينيه تصفو وترق ، ويمسح على ما فيها من هم وبلبال ... أحس قلبه يخفق مرة أخرى بالأمل والطمأنينة ، وجرى بصره على الوجوه الصغيرة وهو يتساءل : ترى كيف صار هؤلاء جميعاً ؟ ... وعاين أول صورة فى الصف الأخير فعرف صاحبها بوضوح غريب ، وذكر اسمه (عبد الملك حنا) ، وذكر كيف كانت تنتابه نوبات الصرع فى الفصل حتى انقطع عن المدرسة ... أما بقية الصف فتذكر وجوههم وغابت عنه أسماؤهم ومصايرهم ؛ وعرف فى الصف الثانى وجهاً كأنما تركه بالأمس ؛ كان ابناً لأحد كبار المستشارين فكان يتمتع لذلك بنفوذ وصولة فيحييه الناظر إذا بصر به ، ويلاطفه المدرسون ، وقد علم فيما بعد أنه عين وكيلاً للنيابة وترقى قاضياً ، ولعله يتأثر الآن خطى أبيه الكبير . أما من يليه من الصغار فجلهم من المقهورين وبعضهم معه فى المعارف وهو يعرفهم حق المعرفة ، وأما آخر هذا الصف — الذى ينظر إلى المصور بتحد غريب ويشبك ذراعيه على صدره — فكان من أشقياء التلاميذ المولعين بالشجار والتصادم ، وقد طرد من المدرسة لاعتدائه على أحد المدرسين . ومن العجيب أنه احترف فيما بعد « البلطجة » ، وطاف بالسجن مرات . وألقى نظرة أخيرة على الوجوه الأخرى فلم يعرف عنها شيئاً إلا الدكتور المعروف (حنا عبد السيد) ، وإلا هذا الذى يتوسط الصف الأول ، كان أنبغ التلاميذ جميعاً ، وكان أول الابتدائية ثم أول البكالوريا والتحق بمدرسة الحقوق كبير الهمة سخى المواهب ، ولكنه أصيب أول عهده بها بداء الصدر فاضطر إلى ترك المدرسة والكف عن التحصيل ، واشتغل بعد ذلك بعامين كاتباً فى الصحة . . . فلا يقل حظه شذوذاً عن حظ الوزير نفسه

نال كل منهم نصيبه وخضع لحكم حظه وسعيه . كانت تجمع بينهم جدران واحدة ، لا يكاد يتميز وراءها إنسان إلا بجهده وخلقه ، ففرقت بينهم الحياة ، فرفعت وخفضت ، وأحيت وأماتت ، وأثاقت للفقر ، ومتعت بكرسى الوزارة ، وكل بما قسم له غير راض ولا قانع ...

ونظر جلال أفندى عند ذاك فى الساعة فوجدها تدور فى الرابعة ، فعلم أن موعد الصغار آن واقترب ، وأنهم عما قليل يملأون البيت حياة وقلبه نوراً ، فرمى بالمجلة بعيداً وطرد من عقله الوسواس ليستقبلهم أجل استقبال ، وقال لنفسه متمزياً :

— من الخطأ أن يفكر الإنسان فى شئون الناس ما دام هذا لا يورث إلا الضيق ، وحسبى أن معالى قال لى : «اطمئن»

نجيب محفوظ

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)